حب وكبرياء

تأليف : بني جوردان

ترجمة : عبد الرحمن مصطفى

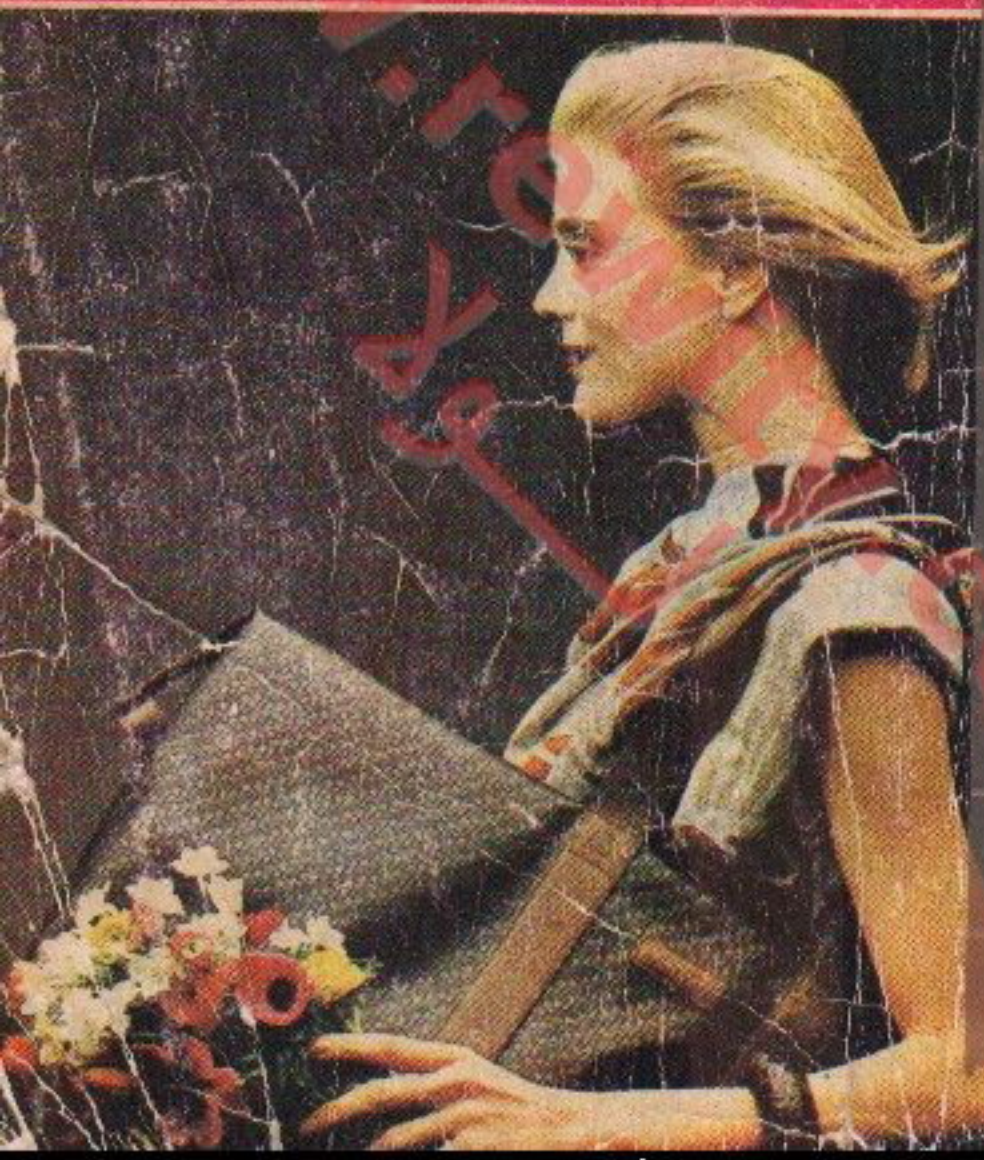

www.rewayti.net

من اجل حماية ابنة عمها الحمقاء تتورط جيسيكا في مغامرة في اسبانيا.

ويحدث اختلاط في الشخصيات، بحيث يظن الطرف الآخر انها ابنة العم التي تحاول وضع شباكها على ابن عائلة اسبانية ثرية.

وتبدأ محاولة اقناع الطرف الآخر بحسن النوايا..

ولكنها تقع في حبه..

ولكن هناك سببان في عدم الوقوع في حبها!؟

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٤ لسنة ١٩٨٨

السعر (٧٥٠) فلساً

منشورات دار الكندي
الحارثية - مقابل معرض بغداد الدولي

مطبعة العمال المركزية

www.rewity.com

الفصل الأول

–«بصراحة ياجيسيكا لاأدري ماذا ستفعل عائلتك بدونك! ماالامر هذه المرة؟». تساءل كولن ويفر وقد ارتسمت على وجهه ضحكة مفتعلة وهو يتحدث الى مساعدته الشابة. «هل أقفلت عمتك الباب على نفسها مرة ثانية ام أن عمك نسي دفتر شيكاته؟»

–«كلا». أجابت جيسيكا وهي تخفي ابتسامتها... والواقع أن عمتها وعمها لايفكان عن الاتصال بها هاتفيا في مكتبها طلبا للمساعدة كلما وقع لهما حادث ...فلم يعتادا على نمط الحياة العصرية في عالم التجـ ـة متسارع الاحداث... فعلى سبيل المثال مازال عمها فرانك يعيش أحلام ماقبل الحرب، وهو يعمل في مكتب للأعمال القانونية ورثه عن ابيه.... ولم تكن عمتها «أليس» أفضل منه بكثير، فهي عصبية المزاج طيلة الوقت ومتذمرة من الحياة التي تعتقد أنها قد تغيرت بسرعة بحيث بات من العسير عليها مواكبتها – اما إيزابيل – وهنا تنهدت جيسيكا، فان مشاكل عمها وعمتها تبدو تافهة مقارنة بما تسببه لها إبنة عمها البالغة الثامنة عشرة من عمرها.

«وحسنا..، أعتذر عن توجيه النقد الى عائلتك المحبوبة».

قال كولن وهو يتصنع ابتسامة اخرى. «اعتقد أن الغيرة تأكلني. فهل تسرعين لنجدتي اذا ما أقفلت الباب على نفسي؟».

«لايحديك ذلك شيئا». ردت جيسيكا ضاحكة. «فأنت تعيش في شقة اخرة..أما عمي وعمتي فيسكنان في منزل قديم لايمكن حتى اغلاق

نافذته الصغيرة..أما مسكنك فانه..».

-«في الواقع بدأت أدرك الفرق..». قال كولن وهو يجول ببصره على قوامها الممشوق.«غير أن هذا لايمنعني من أدعو الله لكي يمتنعان عن حرماني من خدمتك القيمة لي».

«ولكني مضطرة للذهاب الان...إنها ايزابيل هذه المرة». قالت جيسيكا مقطبة حاجبيها السوداوان وهي تقضم شفتها السفلى..والمشكلة أن ايزابيل قد ولدت وهما في منتصف العمر، واحدثت ولادتها غير المتوقعة صدمة لكليهما، وما زالا يعانيان من اثارها.

-«اذن انها إيزابيل». قال كولن.... «تلك الفتاة الفاتكة.. فما زلت أذكر اليوم الذي صحبتك الى هنا..».

والمقصود بكلمة«هنا»هو المتجر الذي يمتلكه كولن في لندن حيث يعرض فيه موديلات مغرية من الازياء التي تحمل إسمه. وبدأت جيسيكا العمل معه منذ أن أكملت دراستها في مدرسة الفنون، وقد أحبت عملها الحالي كثيرا.

وفي رأي جيسيكا فان تصاميم الازياء التي يقدمها كولن لايمكن مضاهاتهوالسر كما أخبرها كولن، يكمن في اختياره للقماش الذي يواكب الموظة..وقد أثنت مجلات الموظة الشهيرة على تصاميمه وأزيائه التي تتمنى أن ترتديها اثرى النساء في بريطانيا.

ويقوم كولن بخياطة بعض الازياء لعدد من النساء الثريات،غير أن حلمه الوحيد - كما تعلم جيسيكا - هو أن يكون بوسع جميع النساء في بريطانيا شراء فساتينه..

-«مازالت ايزابيل صبية». اومأت جيسيكا برأسها وهي تحاول اخفاء مايجيش بصدرها حول ابنة عمها الجميلة والعنودة.

-«انها أصغر منك بعامين..كيف كنت تتصرفين حينما كنت في الثامنة عشرة؟ أراهن إنك كنت تلازمين البيت وتأخذين مصروفك من ابيك.. اليس كذلك؟».

-«كلا، لم يكن الامر كذلك». ردت جيسيكا..فان والديها قد توفيا قبل عيد ميلادها الثامن عشر إثر حادث سيارة وهما في طريقهما لزيارة بعض الاصدقاء.فما زالت تذكر تلك الساعات وكيف حاول عمها فرانك اخبارها النبأ..وتذكر ايضا وجه عمتها الشاحب..وعلى أية حال فان عمها وعمتها قدما لها مسكنا مريحا ولكنها بدأت بالتخطيط لحياتها بنفسها..فأكملت دراستها في مدرسة الفنون ثم أن أملها كان في عملها في عالم الازياء والموظة..وأنفقت بعض النقود التي ورثتها عن والديها لشراء شقة صغيرة في لندن غير ان أنها بقيت على اتصال دائم مع عمها وعمتها..فهما كل مابقى لها في الحياة..وتقوت تلك العلاقة بمرور الزمن. فالارتباط العائلي يكون اكثر تماسكا عندما تكون تلك العائله صغيرة.

وكانت ايزابيل في ربيعها العاشر عندما حصلت الحادثة، وهي لاتتذكر عنها الشيء الكثير...ووجدت جيسيكا نفسها مضطرة للتوفيق بين تهور الشباب ورزانة الكبار كلما نشب خلاف في البيت، وخاصة عندما بلغت ايزابيل سن المراهقة..فكانت تطلب المساعدة من جيسيكا على الدوام وفي الوقت نفسه كان عمها وعمتها يحثانها على رعاية ايزابيل وتوجيهها.

كان المفروض أن تنهي ايزابيل دراستها الجامعية غير انها تركت المدرسة حتى قبل اكمالها الصف السادس لعدم رغبتها فيها..وعند الثامنة عشرة عملت في مكتب والدها، وكانت كثيرة التشكي عن العمل كلما التقت جيسيكا.

www.rewity.com

قطع كولن سلسة افكارها قائلا:

-«أود أن اتحدث معك حول زيارتنا القادمة الى اسبانيا».

ونظرت اليه جيسيكا مبتسمة..فقد كان في الثامنة والأربعين من عمره، غير انه يتصرف كالصبيان أحيانا عندما يكون حاد المزاج..ربما ليوقع اللوم عليها أو لمجرد لفت إنتباهها له.

وغالبا ماتعطيه جيسيكا الحق في تصرفه، ذلك لأنه أفضل مصمم للازياء وأفضل رب عمل فهو يتصف بالمرونة ويثمن قدرتها على جعل العمل معه ممتعا.

أما بخصوص معرض الأقمشة في أسبانيا فقد كان كولن يروم زيارته بمفرده بادىء الأمر.غير أنه اقترح مصاحبة جيسيكا له..فقد سمع أن شركة اسبانية لصناعة الأقمشة تصنع انواع جديدة من الأصباغ للأنسجة الطبيعية وأن هذه الشركة لاتبيع منتوجاتها الا الى كبريات الشركات المتخصصه في الأزياء واكثرها شهرة..وعلمت جيسيكا ان كولن يحاول التعرف الى مدير تلك الشركة.

-«أنا حائرة..فلا أدري اذا كان بوسعي مرافقتك». قالت جيسيكا وهي تخفي إهتمامها بالأمر خاصة وان لهجة كولن في الحديث قد تحولت الى لهفة في معرفة رأيها بالسفر معه.

وهنا إمتعض كولن قائلا:«أهي عائلتك اللعينة مرة اخرى؟ ولكن لابد وأن يعتمدوا على أنفسهم بعد اليوم». وبصوت حزين قال متوسلا«انا بحاجة اليك ياجيسيكا».

-«حسنٌ، ولكن كف عن تعليقاتك القاسية بحق ايزابيل». ردت جيسيكا بشيٍ من الغضب «صحيح أنها صعبة المراس أحيانا..».

-«صعبة المراس! إنها عنيدة..وعلى أية حال..يمكنك الانتهاء من عملك مبكرا هذا المساء».

وصلت جيسيكا مسكنها وهي تستذكر طيبة كولن...ولعدم وجود من يشاركه في العمل فقد أخبرها عن استعداده لقبولها شريكة معه اذا ما إستمرت الحالة على هذا المنوال..وبالطبع سيكونان فريق عمل جيد. ووافقت جيسيكا على اقتراحه فهو يصغي الى ارائها ومقترحاتها ويتقبلها برحابة صدر رغم خبرته الطويلة في عالم الازياء.

وقفت جيسيكا امام المراة، وسخرت من نفسهالأنها غادرت المكتب دون أن تصفف شعرها او تضيف شيئا من احمر الشفاه على شفتيها لأنها غالبا ماتعض شفتها السفلى وتعبث بشعرها المسدول عندما تكون قلقة في العمل.

كانت جيسيكا تعتقد أن شعرها الطويل والكثيف هو ثروة بالنسبة لها، فكان يتدلى ناعما حتى كتفيها..ومن مزايا العمل مع مصمم ازياء شهير مثل كولن هو حصولها على الفساتين بثمن بخس خاصة وان قوامها المشوق وسيقانها الطويلة كانت تلائم الأقمشة الحريرية والقطنية والصوفية التي يفضلها كولن.

قال كولن مرة«أحب أن أرى أزيائي على قوام إمرأة كاملة الانوثة، لأن عارضات الأزياء أشبه بصور غير واقعية للمرأة اما أنت..فانك خلقت لترتدي فساتيني!».

كانت إيزابيل كثيرة السخرية من كولن وتصفه بالمرأة العجوز، غير أن جيسيكا كانت تؤنبها على ذلك..فقد كان كولن حاذقا وماهرا وصادقا في حبه لمهنته على غير عادة الرجال الاخرين الذين قابلتهم جيسيكا. والامر الاخر الذي تسخر منه ايزابيل هو عدم اكتراث جيسيكا

www.rewity.com

بالمتعة.. وهي ترى المتعة من غير حدود.. فعلى سبيل المثال العيش بمفردها في لندن بالنسبة لها متعة.. وترى أن يوسعها المرح في شقة جيسيكا ولكنها لاتزال مقيدة الى درجة الضجر بوالديها حيث الحياة متباطئة ومملة.

وبعد اكثر من محاولة لتصحيح سوء الفهم ادركت جيسيكا أن ابنة عمها لاتنوي العيش وسط الأوهام وأن الحرية التي تتمتع بها جيسكا يمكن أن تكون أداة نافعة ضد والديها عندما تثور عليهما..

في الواقع شعرت جيسيكا أن تعب الحياة قد نال من عمها وعمتها ويحاول العم فرانك إحالة نفسه على المعاش وسيسعدان كثيرا لو أن ايزابيل تجد الزوج الملائم الذي سيتحمل مسؤوليتها وتمردها..ولكن يبدو أن ايزابيل لم تلمح رغبتها في الزواج«ولماذا الزواج»، تساءلت جيسيكا مع نفسها..فالثامنة عشرة سنة مبكرة للزواج أو ربما أن ذلك سلوى لها لأنها مازالت وحيدة وهي في السادسة والعشرين حين تكون الفتاة شديدة الحذر في انتقاء الزوج المناسب وتفكر كثيرا في حسنات وسيئات الزواج والالتزامات المترتبة عليه.

وكانت جيسيكا على اليقين أن وجهة نظر ايزابيل تجاه الحياة هي أقل تعقيدا من نظرتها لذلك فان سيرة حياتها ستكون يسيرة وسلسة..وهنا تنهدت جيسيكا وسخرت من نفسها لأنها تتقدم بالعمر سريعا وأصبحت متشائمة... ودخلت غرفتها وهي تلف جسدها بالمنشفة بعد أن إستحمت وارتدت سروال الجينز وبلوزة خفيفة - فهي تنوي زيارة عمها وعمتها..وسرحت شعرها الطويل. وبدت عيناها العسليتان اكثر بريقا رغم انها لم تضع الكثير من المكياج لأن بشرتها مازالت تحتفظ بطراوتها بحيث جعلت من قسمات وجهها صورة بديعة ولو أنها أقل جمالا من

ايزابيل.

كانت الساعة تشير الى الثامنة والنصف عندما وصلت جيسيكا بسيارتها الى الطريق المألوفة المؤدية الى مسكن عمها..وتساءلت بغضب عما فعلته ايزابيل هذه المرة لكي تجعل عمتها تبكي عندما تحدثت معها بالهاتف.

كان الصمت يلف المكان حينما همت بالنزول من السيارة.. فالتاسعة وقت طعام العشاء ولذلك فكرت بالدخول من الباب الخلفي للمنزل وهي تعلم أنها ستجد عمتها في المطبخ...وحال دخولها إبتسمت عمتها عندما شاهدتها وعانقتها بحرارة.

-«حمدا لله انك استطعت الحضور ياجيسيكا..لقد قلقنا عليك».

-«هل ايزابيل موجودة؟»سألت جيسيكا وهي ترمي بنفسها فوق كرسي قريب من منضدة الطعام وهي تعرف أنه من العسر معرفة كل الأخبار عن عمتها..

-«انها ليست هنا...فقد خرجت مع..جون ولنغتون. وهو الشاب الذي اتخذه عمك شريكاً له مؤخرا. ويبدو أن ايزابيل مهتمة به جداً».

-«وما المشكلة اذا؟»سألت جيسيكا وهي ترى علامات الشك والقلق على وجه عمتها.

-«أظن ان مايجري اليوم هو ماكنت تتمنيه لها...وهو أن تجد رجلا أمينا ومتزنا لكي يجعلها تستقر في حياتها».

لم تفهم جيسيكا سبب قلق عمتها جيدا وقالت:

-«أليس ذلك ماتريدين باعمتي أن يكون زواجها مفرحا وهذا مايتمناه الجميع؟»

www.rewity.com

-«نعم وذلك ماكنا نريده». أجابت العمة. «غير ان كل شيء سينهار بسبب تلك العطلة الملعونة».

-«عطلة؟أية عطلة؟» سألت جيسيكا بلهفة.

-«بدأكل شيء قبل بضعة أسابيع حين أرادت الذهاب الى اسبانيا مع احدى صديقاتها...ولم يشجعها جون لشعوره بالغيرة..غير أنها أصرت على السفر وعلى أية حال..فكل شيء حصل في اسبانيا».

-«ماذا حصل؟» قالت جيسيكا بفارغ الصبر محاولة اخفاء غضبها على ابنة عمها والمصير الذي ينتظر كل فتاة على شاكلتها والتي لاهم لها سوى «التمتع بالحياة».

-«لقد قبلت الخطوبة - او تقريباً - من شاب أسباني تعرفت عليه هناك». أجابت العمة.«وكانا يتبادلان الرسائل دون أن نعلم بالأمر حتى أطلعتني على اخر خطاب منه. ماالعمل ياجيسيكا بحق السماء. لقد وعدت جون بالزواج. واذا علم بالأمر..».

-«كيف سيعلم؟»إستدركت جيسيكا وهي تلعن ايزابيل التي جعلت رجلين يطارداها في نفس الوقت..ولم لا وهي تفتخر بحبها للتناقس؟

-«لاتطلب الأمر سوى الكتابة الى الشاب الأسباني لتخبره أن الأمر انتهى بينهما».

قالت جيسيكا والدهشة تغمرها حول اهتمام هذا الشاب الاسباني بالكتابة الى ايزابيل. فانه هواية الاسبان هي أن يقعوا في حب السائحات الجميلات وليس اكثر من ذلك.

-«لاخوف على ذلك، لأنها تخشى أن يأتي الشاب الى هنا، وحينها سيعلم جون بالامر».

لم ترغب جيسيكا في التعبير عن رأيها في مثل هذه المواقف.. فهي تعتقد أن على ايزابيل إطلاع جون على الأمر قبل فوات الآوان، ولكنها حرصت على عدم إثارة قلق عمتها وحاولت أن تطمئنها قائلة:

- «كل شيء سيكون على ما يرام.».

-«كم أنا شاكرة لك ياجيسيكا، كنت أعلم انك قادرة على حل جميع المشاكل .. وقلت لايزابيل انك ستأتين لنجدتها». واغرورقت عيناها بالدموع.

-«بالتأكيد ولكن لاأدري كيف؟» تساءلت جيسيكا.

-«تسافرين الى اسبانيا بالطبع». استدركت العمة وكأنها تتحدث عن سفرة الى مدينة مجاورة. «لابد وان تذهبي وتتحدثي مع ذلك الشاب وتقنعيه ان ايزابيل لاتستطيع الزواج منه».

-«أسافر الى اسبانيا؟» قالت جيسيكا مندهشة. «ولكن كيف ياعمتي؟!».

-«انك تتحدثين الاسبانية بطلاقة، وستلتقين به وتشرحين له الأمر، وتهونين عليه الصدمة.. فكري بالذي سيحصل لو جاء الى هنا.. فايزابيل تحب جون واظن انها بحاجة الى رجل قوي مثله، ومن واجبنا ان نكون اكثر حزماً معها...».

وتوقفت العمة عن الحديث حين اندفعت فجأة من باب المطبخ فتاة شابة شقراء، وصاحت والفرحة تغمرها:

-«جيسيكا.. واخيراً وصلت والحمد لله.. هل أخبرتك أمي أن...».

-«أن أحد الذين يريدون الزواج منك يلاحقك دون هوادة، أليس كذلك؟»

www.rewity.com

وردت ايزابيل مدافعة عن موقفها «بصراحة ياجيسيكا ظننت في باديء الأمر اني أحبه.. انه يختلف عن جون .. وكان كل شيء رائعاً... لا أرى سبباً لنظراتك هذه!».

وهنا ضربت ايزابيل قدمها على الارض احتجاجاً على نظرات جيسيكا وقالت:

-«بالطبع ان الامر يختلف بالنسبة اليك لأنه لم يسبق لك أن تورطت في هذه الأمور فأنت غير عاطفية.. أما أنا..».

ولم تستطيع اكمال عبارتها، حين اهتزت جيسيكا غضباً للصفات التي أطلقتها إبنة عمها دون تفكير، وتذكرت ان ايزابيل تردد هذه العبارات على الدوام «غير عاطفية»...«لاتجاملين اصدقائك من الرجال».. «ترفضين التورط معهم»..وغيرها، غير أنها تعتقد انها عاطفية الى أبعد الحدود.

وعند المساء، قالت جيسيكا «هل أنت متاكدة من شعور جون تجاهك؟».

-«متاكدة جداً من ذلك». أجابت إيزابيل. «ولكن كل شيء سينهار لو قرر جورج المجيء الى هنا لانقطاعي عن الكتابة اليه.. أرجوك أن تذهبي الى إسبانيا وتكلميه.. فانا لا أقوى على خسارة جون».

كانت عيناها ممتلئتان بالدموع مما جعل جيسيكا تشاركها البكاء، وفكرت في الأمر، لم تر ضرراً من الالتقاء بهذا الشاب عند زيارتها لأسبانيا حتى لو إضطرت الى تمديد فترة بقائها هناك، على الرغم من قناعتها أنه لن يأتي الى بريطانيا أبداً. التفتت اليها جيسيكا وقالت:

-«حسناً سأذهب لمقابلته، ولكن بصراحة قلقك لا مبرر له أبداً».

بعد مضي ثلاثة أيام اخبرت جيسيكا كولن بالأمر وطلبت منه أن تمكث في اسبانيا ليومين أو ثلاثة بعد انتهاء إجازتهما هناك.. وإحتج كولن قائلاً:

-«هل تعنين أنك موافقة على مقابلة هذا الروميو الطائش نيابة عن إبنة عمك.أليس بوسعها التخلص من عملتها القذرة هذه؟».

-«ليست هذه المرة... إضافة الى أني اتحدث الاسبانية بطلاقة.».

واعترف كولن قائلاً: «اذا لا أرى مايشفيك من هذه النزعة الدفاعية عن عائلتك. وكل مابودي قوله.. الحمد لله فلا عائلة لديّ!».

-«وماذا بشان تمديد الاجازة؟» أستفسرت جيسيكا.

-«ليكن ذلك ولو أني أرغب أن أراك تقضين الاجازة في المتعة بدل إضاعتها من أجل إيزابيل، صدقيني... فهي كالحشرة ماصة الدماء ستقضي عليك ان لم تفعلي شيئاً حيالها.. فلم تسمحي لها بذلك؟».

-«انها جزء من عائلتي... فهي وعمتي وعمي.. كل ما أمتلك في هذه الدنيا».

وتتساءل جيسيكا غالباً بعد وفاة والديها خاصة عما اذا كان الحادث قد حرمها ليس من أمها وأبيها فحسب، بل من القدرة على الحب، لانها منذ ذلك الحين انعزلت عن العالم وتخشى الناس خوفاً من الاعتماد اليهم ثم فقدانهم.

كانت مدينة أشبيلية رائعة، وقد أحبتها جيسيكا منذ أن وطأت قدماها أرضها .. أما مدينة مدريد فكانت مركز التجارة الاسبانية، وقد زارتها جيسيكا عدة مرات ..غير أن أشبيلية لها مذاق آخر..

في باديء الأمر دهشت جيسيكا عندما أخبرتها إيزابيل أن جورج

www.rewity.com

يسكن في أشبيلية فقد توقعت أن تجده في كوستا برافا حيث قضت العطلة.

وأصر كولن على أن تقضي جيسيكا الايام الاضافية من عطلتها في الفندق على نفقته... ووافقت على ذلك رغم ترددها في البداية. وكانت تعلم أن كولن سيقيم في أفخم فنادق المدينة.. وبالفعل فقد صح حدسها حين وقفت السيارة التي استقلاها من المطار أمام مبنى فندق «باروك» الضخم.

وابتسمت موظفة الاستقبال في الفندق حين تحدثت جيسيكا بالاسبانية بكل طلاقة، وناولتها مفتاح الغرفة التي كانت تطل نافذتها على المدينة.. وكانت مفروشة بأثاث جميل يذكرها بالقصور الضخمة التي تشتهر بها المدينة.

وحالما انتهت من ترتيب حقائبها وملابسها ، نزلت الى فناء الفندق ووجدت كتب سياحية وخرائط للمدينة فوق إحدى المناضد.. وشاءت أن تتناول العشاء في الفندق قبل زيارتها الى جورج.. وكما توقعت فان العشاء يقدم في وقت متأخر في اسبانيا – في العاشرة مساء– مما سهّل عليها فرصة الالتقاء مع جورج.

وقبل مغادرتها الفندق ارتأت أن تتعرف على الأسم الكامل لجورج ففتشت في دليل التلفونات علّها تعثر على رقم هاتفه لتحدد موعداً للزيارة وبعكسه، فانها مضطرة للذهاب دون سابق دعوة.

وبعد تناول الطعام في مطعم الفندق صعدت الى غرفتها وبدأت تقلّب صفحات الدليل بحثاً عن اسم كالفادورس، وهو اسم عائلة جورج.. ووجدت العديد من الاسماء ولم يكن أياً منها يحمل نفس

العنوان.. لذلك قررت التوجه اليه مباشرة.

وقبل ذلك قررت الاستحمام وتغيير ملابسها.. فارتدت بلوزة خضراء من المجموعة التي يصممها كولن.. ولكي يناسبها اللون وضعت لوناً مقارباً من الماسكارا والظلال على اهدابها.. وارتدت حذاء من الجلد الطري، وبينما كانت تصفف شعرها رن جرس التلفون ليخبرها بوصول سيارة الاجرة لتقلها الى عنوان جورج.

وراودها بعض الشك في معرفتها باللغة الاسبانية حين أرشدت السائق الى العنوان ووجدت نفسها في أحد الاحياء الغنية من المدينة، حيث انتصبت بعض القصور الفخمة وراء غابة من الاشجار على جانبي الطريق.. وأخيراً توقفت السيارة وطلبت من السائق أن يعود اليها بعد نصف ساعة معتقدة أن الوقت سيكفي لشرح الأمر مع جورج.. أن كان موجوداً في المنزل.

واخرجت قصاصة من الورق من حقيبتها تحتوي على العنوان الذي كتبته إيزابيل .... وجالت بنظرها على المكان.. وقالت لنفسها ربما أن هذه البناية الكبيرة تضم عدة مساكن صغيرة حيث يقطن جورج... وعندما تقدمت الى البوابة الرئيسية وجدت زر جرس واحد فقط.. لم تستطع اخفاء قلقلها عندما قرعت الجرس وسمعت صداه في اعماق المنزل ... وشعرت كأن دهراً إنقضى قبل أن تسمع وقع خطوات داخل المنزل.. وبدا كل شيء لها وكأنه واحداً من أفلام الرعب السينمائية.. وخاصة عندما سمعت صرير الباب الكبيرة وهي تفتح.. واذا بشخص متجهم يطل عليها من وراء الباب ويلقي عليها نظرة إزدراء.. وكان على وشك أن يوصد الباب مرة ثانية حين قالت:

www.rewity.com

– «أنا جيسيكا جيمس، وقد جئت لمقابلة السيد كالفادورس.. فهل هو موجود؟».

وقبل أن تنهي عبارتها فتح الخادم الباب لها مشيراً بالدخول.. هالها ماشاهدت حيث ان المدخل الأمامي أوسع من شقتها في لندن وشهقت من جمال القرميد الملون الذي يكسو الجدران من الداخل وتمنت أن يرى كولن هذه الروعة في فن البناء والالوان خاصة الأزرق والاخضر الغامق..

وفتح الخادم باباً آخر داخل الصالة مشيراً اليها بالدخول وقال:

–«هل تسمح الأنسة بالانتظار هنا؟».

وتبعته جيسيكا الى غرفة الانتظار، حيث كانت أروع من الصالة من حيث الأثاث والتحف الموجودة فيها.. وقالت لنفسها: «لابد أن جورج هذا ثري جداً».

–«آنسة جيمس.. سأرى فيما اذا كان الكونت سيقابلك». قال الخادم وهو يهم بمغادرة الصالة.

–«الكونت». دهشت جيسيكا عند سماعها تلك العبارة فلم يسبق لايزابيل ان ذكرت شيئاً عن ذلك... ربما ان الالقاب لاتثير اهتمام إيزابيل أبداً!

وتجولت في أنحاء الغرفة، ووقفت تتأمل إحدى اللوحات الفنية المعلقة فوق موقد النار.. وكانت تمثل أحد النبلاء الاسبان من القرن السابع عشر وتبدو عليه قوة الشخصية، وكأنها تحاول الانفلات من حدود الصورة وإطارها.. ثم سمعت خطوات ثقيلة تقترب من باب الغرفة تختلف عن خطوات الخادم.. وتمتمت مع نفسها أن الوقت حان للأتقاء

بالشخص المطلوب... لكن ماذا ساقول له؟ وكيف ستخبرة بعزم إيزابيل على الزواج من رجل آخر؟!

فتح الباب فجأة.. اذا بالدهشة تعلوها وشعرت للوهلة الاولى أنه مغرور بشكل لايطاق وهو ينظر اليها من طرف أنفه الارستقراطي وشفتاه تكتمان غيضاً.. كان معتدل القامة ذو عينين رماديتين باردتين كالجليد تتطلعان اليها من أعلى رأسها حتى أدنى قدميها.. وكأنما حظر لأهانتها وليس للترحيب بها. وكان كل شيء فيه يدل على الثراء والجاه.. ولايمكن لرجل من مستواه أن يقضي إجازته على شواطىء كوستابرافا ويتورط في علاقة مع ابنة عمها.. أولا لأنه أكبر منها سناً.. ربما في الثلاثينات.. ولا يوجد ما يوحي الى أنه بحاجة الى فتاة لترفع من معنوياته... فهو لايحتاج الى امرأة على الاطلاق ولابد وأن ثروته وكبرياؤه دليل أصالة العائلة.. وعندها شعرت جيسيكا بالدم يجري بارداً في عروقها.. ولم تستطع أن تخبره أن ابنة عمها أختارت رجلاً آخر..

–«الأنسه جيمس؟» نطقها بالانكليزية دون أية لكنة أجنبية.. وعندها أحست جيسيكا أن نبرات صوته الباردة تخفي غضباً مكتوماً.. ولكن لماذا؟ هل علم بسبب مجيئها؟ فهو ليس غبياً وربما علم بالامر من الخطابات التي ترسلها له ايزابيل.

–«السيد كالفادورس؟» ولم يكن صوتها قوياً مثل صوته وأدركت أنه كان يقصد اثارتها وجعل الأمور عسيرة عليها، حتى أنه لم يقم بواجب الضيافة الاسبانية ولم يطلب لها قدحاً من الشاي أو القهوة.

وصممت على البوح بما تريد والعودة من حيث أتت.. فقد أغتالت قسوته وأسلوب حديثه كل أحاسيس الشفقة والعطف التي كانت تحملها

www.liilas.com

قبل الالتقاء به.. ولم تكن تتصور كيف تورطت ابنة عمها الطائشة مع شخص ممتلىء بالحقد والكراهية الى حد الاختناق وقالت:

-«لقد جئت لكي أتحدث عن...».

-«أعلم سبب زيارتك ياآنسة» قاطعها بشكل عنيف، ولم يسمح لها باكمال عبارتها. «دون شك تريدين تسهيل الأمور عليك.. لابد وأنك ستحاولين اقناعي بعينيك الواسعتين القلقتين.. وانك تتصورين اني أقتنع بهذه السهولة... وبكل بساطه ياانسة جيمس ولأنني شاهدتك شخصيا وتاكدت انك شابة تهوين الملابس الباهضة الثمن وكل ما يتناسب معها وانت حسب اعتقادي في منتصف العشرينات من عمرك.. وانت فتاة جريئة بحيث طلبتي مقابلتي.. لذلك فلن اسمح لك بتحطيم حياة شقيقي بأيقاعه في شرك الزواج لمجرد أن لك علاقة معه قبل بضعة أشهر».

لم تجد جيسيكا الكلمات المناسبة للرد عليه.. فقد قال «شقيقي» وهذا يعني أنه ليس جورج كالفادورس.. غير أنه ظنها إيزابيل.. وكانت على وشك أن تصحح الموقف عندما تذكرت ما قاله بشأن العلاقة.. فان ايزابيل لم تتحدث عن أية علاقة بل أنها لمحت الى أن جورج هو الذي يصر على الخطوبة...بينما يعتقد شقيقه أنه يخاطب ابنة عمها... اذاً لابد من تصحيح سوء الفهم دون تردد.

الفصل الثاني

أخذت جيسيكا شهيقا عميقا، وهي تفكر كيف ستبدأ حديثها..وهل ستوضح له أنها ليست الفتاة المقصودة -أي ايزابيل -وأنه كان فظاً معها..متعجرفا ومتكبراً.. فلاشيء فيه يثير الاعجاب وكادت أن تنطق غير أن نظراته لها أخرستها..فلم يسبق لرجل أن نظر اليها بمثل هذه الطريقه الساخرة.. يالله ماذا كان بوسع ايزابيل أن تفعل لو أنها كانت في هذا الموقف الصعب المليء بالأزدراء لأنوثة المرأة واحراجها..وظنت أن الانسان معروفين بدماثة الخلق والادب وقبل كل شيء..احترام المرأة!

-«انك لاتفهم أني..» تحدثت مرتجفة وهي ترى الغضب يتطاير كالشرر من عينيه. «على العكس.. أنا أفهم جيدا..هل تظنين أني لاأعلم بما يجري خلال أيام العطل في هذه المناطق». وابتسم قليلا.«لابد وانك ظننت أنك محظوظة عندما قابلت شقيقي الواسع الثراء..وليكن بعلمك - لسوء الحظ - فليس لشقيقي جورج الحق في التصرف بالتركة الا بعد بلوغه الخامسة والعشرين..أي بعد حوالي ستة أعوام..وسأبقى وصياً عليه حتى ذلك الوقت..واعلمي أني سأفعل ماأستطيع لتحريره من براثنك..وأنا مندهش لمجيئك الى هنا بنفسك لأنني أعلم أن جورج قد أخبرك بنيته في انهاء العلاقة بينكما..وكان عليك أن تقنعيه حينذاك أن يدفع لك ثمن المتعة معك ياآنسة جميس!» وأضاف بكل إحتقار قائلا:«لقد فات الأوان..ان جورج ينظر اليك على حقيقتك..».

شعرت جيسيكا بالنار تحرق اوصالها ثم غلبتها قشعريرة باردة وهي تستمع الى تلك الاهانات وقالت: «لقد كان شقيقك يحب.. يحبني»

www.rewayti.net

واسرعت الى تصحيح عبارتها. «لقد كان..»

-«لقد كان يحب جسدك فقط..وبكل براءة خلط بين تلك الرغبة والحب الحقيقي وهذه مسألة تستغليها لمصلحتك الشخصية..أي تستغلين رغبته الانية لكي ترغميه على..»

-«أرجوك..»ردت جيسيكا وهي تسترجع هدوءها الاعتيادي «اذا كنت تعني أن جورج قد أرغم على..»

وقاطعها ثانية قائلا: «اعلم ان لا اكراه في الأمر... خداع واغراء وتضليل..وتلك صفات تناسبك..فانت امرأه جذابة»ومرر عينيه على أجزاء جسمها الذي يخفيها فستان الحرير الرقيق..وأضاف:

-«وبالتاكيد أفهم سبب زيارتك لنا..ربما خيل اليك ان مظهرك الجذاب سيؤثر علينا..فالبعيد عن العين قريب على القلب..قلب رجل اخر أليس كذلك؟»

لم تعد جيسيكا تطيق مايجري ولم يكن بوسعها السماح له بالتمادي في إهانتها وقالت: «قبل أن يطول الأمر..أنا مضطرة أن أخبرك اني لاأرغب في الارتباط مع شقيقك..في الحقيقة..».

-«وهل تتوقعين مني أن أصدقك؟ دعيني أذكرك بما جرى..فلدي اخر رسالة منك الى جورج وقد كان مرتبكا حين سلمها لي..ويبدو أنه كان متمتعا بصحبتك وفي الوقت نفسه كان جزعا من اصرارك على الخطوبة..».

-«لديك خبرة طويلة في التخلص من النساء على ماأعتقد..وهذه احدى المآسي التي يعاني منها الأثرياء». ردت جيسيكا وهي تمالك أعصابها، وشعرت بشيء من الراحة خاصة بعد أن تغير لون وجهه عندما سمع

عبارتها الأخيرة..فقد ساءه أن يعلم أن النساء يرغبن في صداقته لكونه ثريا فقط..رغم أن جيسيكا تدرك أن الأمر عكس ذلك تماما..فقد كان رجلا بمعنى الكلمة..وتساءلت فيما اذا كان متزوجا ام لا..غير أنها طردت هذه الأفكار من رأسها لأن الأمر لايعنيها اطلاقا.

-«اقبلي بالواقع..فان جورج لاينوي الاستمرار في علاقته معك..وحتى ان فعل ذلك فسأقوم بما من شأنه الحيلولة دون زواجه من امرأة على شاكلتك..مالذي جذبك اليه؟».

واجابت بهدوء غير اعتيادي«اذا فعلت ذلك فستكون مخطئا، لأني كماقلت توا لاارغب في الزواج من شقيقك.».

-«انت!»قال كالفادورس بازدراء وهو يخرج من جيب معطفه ورقة مطوية«إقرأي اذا هذه الرسالة وربما ستتذكرين.»

مدت جيسيكا يدها لتناول الرسالة وسرعان ماسحبت يدها بعنف حين لامست أناملها اصابع يديه..كان عليها ان تخبره بالحقيقة فقد تعقدت الأمور شيئا فشيئا..وازدادت ضربات قلبها وهي تقرأ الأسطر الأولى منها. علمت أن ايزابيل وجورج متورطان في علاقة حب..ولكن ماالذي أصاب ايزابيل لكي تكتب مثل هذه الرسالة!

وشعرت بالغثيان عندما فكرت ماسيحدث لعمها ولعمتها حين يعلمان بالأمر..ولكن لماذا لم تحذرها ايزابيل في السابق؟ ولماذا كانت مقتنعة أن جورج سيتوجه الى بريطانيا لزيارتها اذاً اذا كان الاثنان يودان انهاء العلاقة؟ «دليل دامغ، اليس كذلك؟» قالها بطريقة لاذعة. «وعلمت من جورج انه ليس أول رجل في حياتك».

وتوسعت حدقتاها وازداد غضبها..فهل هي الحقيقة؟ وهنا قررت

www.rewity.com

جيسيكا البوح بالحقيقة كاملة..غير انها عدلت عن ذلك لأنها وعدت ابنة عمها بحل المشكلة وتسويتها..فهي دوما تدافع عنها فكيف ستتخلى عنها الآن؟

-«حسنا، هل لديك ماتقوليه لابد وان جورج أخبرك برغبة العائلة في زواجه من احدى قريباتنا..زواج ناجح..أفضل من الزواج الذي عزمت عليه. ان عائلة برباره عائلة محافظة ولن يطيقوا سماع أخبار تسيء الى سمعة جورج».

وبدا على جيسيكا الشحوب وخارت قواها وأمسكت بالكرسي القريب منها لكي تقاوم قساوة عبارته وقالت:

-«هل تظن أني جئت للابتزاز؟ هل تظن أني..؟»

-«موقف مؤثر حقا!» رد عليها مستهزئا. «أنا أختلف عن جورج ولن أقع فريسة لتلك العينين العسليتين الخاليتين من كل براءة..انت اكبر سنا من شقيقي..وكنت تستغلين قلة خبرته في الحياة من اجل مآربك..وعليك أن تدركي ان العائلة لاتشجع مثل هذه العلاقة أبدا. لذلك باآنسة جيمي دعينا ندخل في التفاصيل..».

وردت عليه بحنق، دون الاكتراث بالنتائج وهي مندفعة نحو البوابة الرئيسية للمنزل والدموع تنهمر من عينيها:

-«اذا كنت تقصد بالتفاصيل انك ستدفع لي ثمن التخلي عن شقيقك..فلا جدوى من ذلك أبدا».

وهرولت مسرعة وهي تسمع صوت خطواته تلاحقها وخشيت أن يمسك بها أو يمنعها من الرحيل الأمر الذي جمد الدم في عروقها وزاد من ضربات قلبها. وأحست بيده على كتفها وهو يشتمها وهي تهم بفتح

الباب..وتعثرت في سيرها وهي ترى سيارة الأجرة بانتظارها..وسرعان ماستقلتها وتهالكت على المقعد الخلفي دون تلتفت الى الوراء متجاهلة نظرات السائق المليئة بالشك.وحال وصولها الفندق اتصلت هاتفيا بابنة عمها لتعرف منها حقيقة الأمر..ولحسن الحظ كانت ايزابيل على الخط وسرعان ماسألت:

-«هل قابلت سباسيتان؟ وماذا قال لك؟»

- «اذا انه يدعى سباسيتان!» أطرقت جيسيكا برأسها. «على أية حال فالاسم يناسبه تماما.»

وواصلت حديثها مع ايزابيل وصورة البيت وغرفتها تتراءى لها في مخيلتها وقالت:

-«لقد حسبني أنت..كان عليك أن تكوني صادقة معي ايزابيل..لماذا أصريت على سفري الى اسبانيا في الوقت الذي أخبرني فيه سباسيتان أن جورج لاينوي الارتباط بك وقد اطلعني على خطابك الأخير..».

وقاطعتها ايزابيل قائله: «ألم تخبريه بالحقيقة وانه على خطأ؟»

-«لم تسنح لي الفرصة!»..بالطبع فقد جرحتها كلماته النابية ومازالت تتألم من مرارة ذلك اللقاء.

-«يجب أن لايعلم بالأمر ياجيسيكا..أرجوك حاولي أن تفهميني..لقد كنت يائسة..وظننت اني حامل..جيسيكا..جيسيكا..هل تسمعيني؟»

وأحست جيسيكا بصدمة كبيرة وهي تنصت الى ايزابيل عبر الهاتف...

وأضافت ايزابيل: «بصراحة ياجيسيكا، أنت فتاة محافظة..وحياة الغزوبية تلائمك تماما..أما أنا..فلا تروق لي الحياة دون اللهو والمتعة..

جيسيكا البوح بالحقيقة كاملة..غير انها عدلت عن ذلك لأنها وعدت ابنة عمها بحل المشكلة وتسويتها..فهي دوما تدافع عنها فكيف ستتخلى عنها الآن؟

-«حسنا، هل لديك ماتقوليه لابد وان جورج أخبرك برغبة العائلة في زواجه من احدى قريباتنا..زواج ناجح..أفضل من الزواج الذي عزمت عليه. ان عائلة برباره عائلة محافظة ولن يطيقوا سماع أخبار تسيء الى سمعة جورج».

وبدا على جيسيكا الشحوب وخارت قواها وأمسكت بالكرسي القريب منها لكي تقاوم قساوة عبارته وقالت:

-«هل تظن أني جئت للابتزاز؟ هل تظن أني..؟»

-«موقف مؤثر حقا!» رد عليها مستهزئا. «أنا أختلف عن جورج ولن أقع فريسة لتلك العينين العسليتين الخاليتين من كل براءة..انت اكبر سنا من شقيقي..وكنت تستغلين قلة خبرته في الحياة من اجل مآربك..وعليك أن تدركي ان العائلة لاتشجع مثل هذه العلاقة أبدا. لذلك باآنسة جيمي دعينا ندخل في التفاصيل..».

وردت عليه بحنق، دون الاكتراث بالنتائج وهي مندفعة نحو البوابة الرئيسية للمنزل والدموع تنهمر من عينيها:

-«اذا كنت تقصد بالتفاصيل انك ستدفع لي ثمن التخلي عن شقيقك..فلا جدوى من ذلك أبدا».

وهرولت مسرعة وهي تسمع صوت خطواته تلاحقها وخشيت أن يمسك بها أو يمنعها من الرحيل الأمر الذي جمد الدم في عروقها وزاد من ضربات قلبها. وأحست بيده على كتفها وهو يشتمها وهي تهم بفتح

الباب..وتعثرت في سيرها وهي ترى سيارة الأجرة بانتظارها..وسرعان ماستقلتها وتهالكت على المقعد الخلفي دون تلتفت الى الوراء متجاهلة نظرات السائق المليئة بالشك.وحال وصولها الفندق اتصلت هاتفيا بابنة عمها لتعرف منها حقيقة الأمر..ولحسن الحظ كانت ايزابيل على الخط وسرعان ماسألت:

-«هل قابلت سباسيتان؟ وماذا قال لك؟»

- «اذا انه يدعى سباسيتان!» أطرقت جيسيكا برأسها. «على أية حال فالاسم يناسبه تماما.»

وواصلت حديثها مع ايزابيل وصورة البيت وغرفتها تتراءى لها في مخيلتها وقالت:

-«لقد حسبني أنت..كان عليك أن تكوني صادقة معي ايزابيل..لماذا أصريت على سفري الى اسبانيا في الوقت الذي أخبرني فيه سباسيتان أن جورج لاينوي الارتباط بك وقد اطلعني على خطابك الأخير..».

وقاطعتها ايزابيل قائله: «ألم تخبريه بالحقيقة وانه على خطأ؟»

-«لم تسنح لي الفرصة!»..بالطبع فقد جرحتها كلماته النابية ومازالت تتألم من مرارة ذلك اللقاء.

-«يجب أن لايعلم بالأمر ياجيسيكا..أرجوك حاولي أن تفهميني..لقد كنت يائسة..وظننت اني حامل..جيسيكا..جيسيكا..هل تسمعيني؟»

وأحست جيسيكا بصدمة كبيرة وهي تنصت الى ايزابيل عبر الهاتف...

وأضافت ايزابيل: «بصراحة ياجيسيكا، أنت فتاة محافظة..وحياة الغزوبية تلائمك تماما..أما أنا..فلا تروق لي الحياة دون اللهو والمتعة..

ولم لا اذا كانت تلك رغبتي؟».

-« وهل كونك غير متزوجة وحامل في نفس الوقت لهواً بالنسبة لك؟».

كانت ايزابيل فتاة مدللة ولا جدوى من النقاش معها.. فهي تعطي لنفسها الحق في التورط في كل ماتشتهيه.. وقالت الى جيسيكا:

-«وما عساي أن أفعل؟ لم أجد بُداً من الكتابة اليه، فهو أيضاً مسؤول عما حصل».

وطلبت جيسيكا منها مواصلة الحديث والاسترسال فيه في الوقت الذي كانت تفكر بمصير عمها وعمتها لو علما بالأمر.. وهل سيكون بامكانها الدفاع عن ابنة عمها هذه المرة أمامها؟

وقاطعتها جيسيكا بحدّة قائلة:«ولذلك توسلت الّي الذهاب والتحدث مع رجل كنت على وشك أن أظنه مغرم بك جداً.. لاأعلم ماذا أفعل يا ايزابيل.. فيبدوا لى أن في الامر شيء آخر..».

ومرت لحظة صمت قبل ان تبدأ ايزابيل بالاعتراف لجيسيكا بكل ماحدث

-«حسن.. لم أتلقَ أي رد على خطاباتي الى جورج.. بل كانت كلها من شقيقه الذي أخبرني أن جورج قد أطلعه على العلاقة.. وأراد مني دليلاً على أني حامل.. لقد كانت رسائله كريهة.. وكنت خائفة.. فقد أخبرني جورج بطبيعة أخيه وكونه وصياً عليه وحازماً معه.. وكنت أخشى مجيئه الى هنا. لذلك أصابني الفزع وظننت أن ذهابك اليه سيقنعه بعدم رغبتي فيه وربما سيقوم جورج بأطلاع شقيقه سباستيان و....».

وستكون ايزابيل بمنأى عن اي خطر من سباستيان أو جورج. هكذا ترأى الأمر لجيسيكا.. ولذلك فان ايزابيل وفرت على نفسها

المتاعب وجعلت غيرها - أي جيسيكا - يدفع الثمن؟

-«لذلك دفعت بي الى عرين الأسد.. وأشكرك على ذلك!».

وهنا دافعت ايزابيل عن نفسها قائلة:

-«لم يخطر ببالي انك ستلتقين بسباستيان وأنه سيخلط بيني وبينك أو ربما أن ذلك من حسن الحظ لأنه شاهدك شخصياً وقلت له أنك لاتريدين جورج.. فلن يضايقنا بعد الآن.. وعلى أية حال .. أي نوع من الرجال هو؟».

وفسّرت طريقة ايزابيل بالحديث بالانانية والفضول خاصة حين قالت: «عندما كان يتحدث عنه جورج.. خيّل لي وكأنه إله.. وتشوقت لرؤيته.. وكان جورج يقول أنه موضع اعجاب النساء وانه ثري جداً وان لقب العائلة يعود الى قرون عديدة.. وكان فخوراً بهذا النسب الى درجة التعالي والعظمة».

وشعرت جيسيكا أن ايزابيل تعرف الكثير عن عائلة كالفادورس الأمر الذي أثار سخطها غير أنها أدركت أن غضبها مع ايزابيل لايوصلها الى نتيجة.. حتى اذا أرغمتها بالمجيء الى هنا ومقابلة سباستيان.. فذلك لن يحل المشكلة..

واسترسلت ايزابيل في حديثها قائلة: «بعث لي بخطاب قاسٍ لا يصدق أني حامل متهماً أن في الأمر خديعة، لكي أرغم جورج على الزواج مني.. والمهم أن الأمر قد إنتهى وأشعر بالسعادة الآن ياجيسيكا.. وبالمناسبة فقد طلب جون يدي يوم أمس وقد وافقت...».

مازالت ايزابيل صغيرة على الزواج.. وان جون ليس بالزوج الملائم لها...هكذا تعتقد جيسيكا غير أنها فضلت عدم التدخل في شؤون

الآخرين.

-«متى ستعودين؟ أريدك أن تحضري حفلة خطوبتي». قالت ايزابيل.

وسخرت جيسيكا من القدر.. فقد قامت بالدور الشاق بدلاً عن ابنة عمها وقابلت سباستيان، وتحملت اهاناته وسخريته، وها هي الآن تتلقى مكافأةبدعوتها الى حفلة خطوبتها!

وجدت جيسيكا أن عطلتها لم تنته بعد. بعد أن حلّت مشكلة ايزابيل ولم ترغب في إضاعة الفرصة، فقررت أن تتجول في مدينة أشبيلية بعد الانتهاء من طعام الفطور.

لم يكن لديها معرفة سابقة عن المدينة سوى بعض المعلومات التأريخية البسيطة.. لذلك تناولت بعض الكتب السياحية والخرائط لتستدل منها على المدينة وشوارعها.. وفضلت أن تقوم بالجولة قبل وصول كولن.. فهو لايجيد مثل هذه الإفكار.

وخلال زيارتها الى إحدى القصور التأريخية، تذكرت وجه سباستيان كالفادورس المتعجرف.. وحينها سرت قشعريرة في جسدها، فأسرعت في مغادرة المكان حيث الشمس الدافئة..وقالت لنفسها «إنسيه ياجيسيكا». ولكن كيف يمكنها أن تنسى الرجل الذي أهانها وجرح كرامتها وشكك في أنوثتها..

وفكرت في العودة إليه ثانية لتصب نار غضبها عليه وترد الصاع صاعين لأنه كان مخطئاً بحقها.. غير أنها عدلت عن الفكرة من أجل ابنة عمها..

وعلى أية حال، لم تستمتع جيسيكا بمشاهدة المدينة رغم جمال مناظرها، فقد حان وقت وصول كولن.. وذهبت الى المطار لأستقباله..

وقابلها وهويحمل حقيبته قائلا: «أهلاً جيسيكا» وأخذها بين ذراعية. «هل انتهت المشكلة؟».

-«نعم على ما اظن». ردت جيسيكا وهما يستقلان سيارة أجرة.

ولوهلة قصيرة حاولت جيسيكا أن تقارن بين سباستيان وأخيه جورج.. ووجدت أنه من العسير أن ترى سباستيان يقع فريسة خداع أو استغلال.. فعندما يتعلق الأمر بعلاقته مع إمراة فستكون كلمته هي الفاصلة.. ولكن.. هل انه متزوج؟

ولم تستطع التوقف عن التفكير بسباستيان.. ومع ذلك فقد وبخت نفسها على ذلك.. لانها في أشبيلية ومع كولن ولاحق لها في التدخل في حياة رجل غريب عنها.. ولكن ليس كذلك.. فمنذ اللحظة الأولى التي تقابلت فيه عيونهما ورغم الغرور والكبرياء.. فقد وجدت فيه الرجولة الكاملة والاغراء الخطير الذي ذكّرها بمطاردة نمر الغابة لفريسته.

كان كولن متعباً بعد الرحلة، وقرر تناول العشاء في غرفته والنوم مبكراً تلك الليلة وسأل جيسيكا: «هل زرت معرض الأقمشة؟».

هزت جيسيكا رأسها بالنفي.

-«على أية حال، لن يفتح المعرض قبل يوم غدٍ.. ولدينا موعد مع كالفورتيكس بعد الغداء.. وصلّي لنجاحنا». قال كولن مبتسماً. «لقد صُممت أزياء الموسم القادم، آخذا بنظر الاعتبار الاقمشة التي يصنعوها.. واذا سارت الامور سارت الأمور على مايرام فسنفوز بحق امتياز أقمشتهم في بريطانيا».

-«هل تعرف الكثير عنهم؟» سألته جيسيكا وهما ينزلان الى صالة الفندق.

www.rewity.com

-«ليس الكثير.. اذ يقال أن رئيس مجلس الأدارة ينتقي الزبائن شخصياً، وان الشركة تديرها عائلة.. وان كل ما أعرفه هو أن أقمشتهم تحقق أحلام مصممي الأزياء.. ويسرني بالمناسبة أن أسمع انك أنهيت موضوع ايزابيل.. فهي فتاة كثيرة المشاكل.. ولكن لماذا تهتمين بشؤونها دائماً؟».

-«لقد انتهى كل شيء». ردت جيسيكا وهما يتجهان نحو المصعد الكهربائي. «فقد أعلنت خطوبتها يوم أمس».

-«كان الله في عون خطيبها!». رد عليها كولن معلقاً..

بعد ذلك ذهب كل واحد منهما الى غرفته.. وحاولت جيسيكا أن تركّز على موضوع الأقمشة والعمل.. غير أن شبح سباستيان يطاردها في كل مكان..

كان رجلاً صلباً ومعتزاً بنفسه.. واحمر وجهها خجلاً حين تذكرت نظراته اليها.

ألقت بنفسها على الفراش، وكانت على وشك أن تستلم للنوم عندما سمعت طرقاً على الباب:

-«جيسيكا.. هل مازلت مستيقظة؟» سأل كولن بصوت منخفض.

-«أشعر بألم في معدتي.. هل لديك مايريحني منه؟».

وتنهدت جيسيكا، وتناولت حقيبتها وأخرجت بعض الأقراص المهدئة.. ذلك أن كولن يتوهم أنه مريض، واعتادت جيسيكا، منذ أن بدأت العمل معه على أن تحمل في حقيبتها ما يشبه صيدلية متنقلة معها قد تحتاج اليها عند السفر معه.

وفتحت الباب وناولته علبة الأقراص.

-«أنت ملاك ياجيسيكا». قال كولن وهو يطبع قبلة على خدها.. وفي تلك اللحظة أبصرت جيسيكا من زاوية عينها رجلاً وامرأة يتوجهان نحوهما.. أمرأة قصيرة القامة ترتدي فستان سهرة جميل ورجل طويل القوام لكن الشعر جعل قلب جيسيكا يقفز من مكانه وهي تحملق فيه.. انه سباستيان دي كالفادورس ماذا يفعل هنا ومن هي تلك المرأة؟

وشحب وجهها، حين ألقى عليها نظرة ازدراء خاصة، وانها كانت ترتدي فستان النوم الحريري الرقيق وذراع كولن حول رقبتها وهو يطبع قبلة على خدها. وازاء احمرار وجهها أدركت أن سباستيان سيظن بها السوء.. ووبخت نفسها على هذا الموقف المحرج.

ولم القلق؟ وماهو شأنه بها حتى اذا ظن أنهما عشاق! غير أن نظرته الحادة أوحت وكأنه يعرف كل شيء عنها.. وأن نواياها مع كولن لاتختلف كثيراً عن تلك التي أغرت بها شقيقه.

-«ما الخطب ياجيسيكا؟» تسأل كولن وهو يلاحظ عليها الضياع. «منذ وصولي وانت تبدين قلقة.. هل الأمر يتعلق بأبنة عمك؟».

-«كلا.. لاشيء البتة.. فأنا متعبة قليلاً». قالت جيسيكا وهي تخفي الحقيقة، وبعد أن أختفى سباستيان ورفيقته عن ناظريها قالت:

-«سأكون على مايرام في الصباح».

www.ewity.com

«الفصل الثالث»

في صباح اليوم التالي شعرت جيسيكا بوهن في جسدها وتشنج في عضلاتها خاصة عندما يقع بصرها على أي رجل يدخل صالة المطعم حيث جلست مع كولن لتناول طعام الفطور..كان يسرها أن تعود الى بريطانيا..وارتعدت مرة أخرى حين اقترب من منضدتها رجل داكن الشعر وظنته سباستيان المتعجرف الذي لم يمنحها فرصة تشرح له فيها الأمر..وتذكرت الدرس البليغ الذي تعلمته من ابنة عمها، ودهشت لسلوكها الطائش..فقد كانت ايزابيل متمردة وتتجاهل أي محاولة للحد من تمردها وعنادها..ولكن لايمكن تصديق محاولتها إرغام جورج على الزواج منها..وقطع عليها كولن سلسلة أفكارها قائلا:

-«حان موعد ذهابنا الى المعرض».

وبعد حوالي نصف ساعة وصلا قاعة المعرض وتجولا فيه..واثارت اعجابها الانواع العديدة من الاقمشة المعروضة.

-«تلمسي هذا القماش؟». قال كولن مخاطبا جيسيكا.«إنه أشبه بالحرير ويغريني على استخدامه في فساتيني».

-«أنظر الى هذه الأصواف».ردت جيسيكا«انها من أمريكا الجنوبية على ماأظن».

-«للأسبان علاقات عائلية مع امريكا الجنوبية، ومن الطبيعي ان تتحول هذه العلاقة الى تبادل تجاري يعود بالمنفعة على الطرفين ذلك أنهم يستوردون الصوف من هناك ويقومون بغزله وتلوينه في اسبانيا». قال كولن وهو يلفت إنتباهها الى الاقمشة التي يزمع استخدامها.«رائعة أليس كذلك؟».

-«انها حقا رائعة».ردت عليه جيسيكا وهي تتلمس القماش بأطراف أناملها.

كانت رغبة جيسيكا بعد تخرجها من الجامعة أن تعمل مصممة أزياء لدى أحدى كبريات شركات الأقمشة، غير أن الأمر لم يكن يسيرا خاصة وأن ركودا قد اصاب صناعة النسيج البريطانية..وعلى الرغم من أن معرفتها باكثر من لغة واحدة قد عزز من قدرتها فانها وجدت المصانع الأوربية تعتمد على خريجي الجامعات الشباب في بلدانهم..ويبقى العمل في مصانع المواد الاولية للأنسجة حلما بالنسبة لها.

وكان المعرض يعج بالزوار..وكان كولن يتحدث مع بعض أصحاب المعروضات شارحاً لهم حاجته من الاقمشة والمواد الأخرى، وكانت جيسيكا تقوم بالترجمة الى الاسبانية.

-«اسف فانا مجرد موظف هنا»قال أحدهم.«غير اني سأخبر المدير بالأمر واذا تفضلت واعطيتني رقم هاتفك..فستتصل بك بعدئذ».

وناوله كولن رقم هاتفه وعنوانه في الفندق..والتفت الى جيسيكا مقترحا أن يذهبا لتناول طعام الغداء..وفضل الذهاب الى أفخم مطعم في المدينة.

كانت جيسيكا مرتدية فستانا من مجموعة كولن..وعند دخولها المطعم أثارت اعجاب الحاضرين..مما أثار سعادة كولن لاهتمام الناس بالفستان..واثناء تناول الطعام قال كولن بجدية.«أرجو من الله أن أتمكن من التوصل الى اتفاق مع كالفورتيكس».

وشعرت جيسيكا بنبرة القلق في صوته وقالت:«سيكون ذلك رائعا لأن الأقمشة رائعة ايضا ولن تكون نهاية العالم لو فشلنا في مسعانا.».

www.rewity.com

-«انها النهاية».رد كولن بوجوم. «ان الحالة ليست على مايرام خلال العامين المنصرمين فقد إنحسر عدد الذين ينفقون أموالهم على الاثرياء..وان أقمشة كالفورتيكس ذات شهرة عالمية واسعة وان أدخلناها في تصميم أزيائنا فسترفع معدلات مبيعاتنا كثيرا..وقد حصلت على عقد مع شركة أمريكية بشرط أن أستخدام أقمشة كالفورتيكس..وان ذلك سيدر علينا ربحاً كافياً لانتاج أزياء أقل كلفة..».

تعرف جيسيكا الكثير عن عالم الازياء وان كولن كان يتحدث بواقعية، فالعديد من دور الأزياء أخذت تقفل أبوابها بعد فترة قصيرة من العمل..وشعرت بالقشعريرة تسري في عروقها عند سماعها حديث كولن، إذ لابد وانه يعاني من ضائقة مالية.

-«حسن..لنعد الى المعرض..ربما نعثر على شركة اخرى غير كالفورتيكس نتفق معها، ولو أخشى ان نخسر العقد مع الأمريكان اذا فشلنا مع كالفورتيكس والسبب معروف للجميع..انظري الى الأصواف وألوانها..».قال كولن بشيء من القلق.

-«إنها رائعة».اومأت جيسيكا برأسها موافقة.«إنها حقا رائعة..لاأدري كيف يستخرجون هذه الأصباغ والالوان..!».

-«لاأعلم، ويقال أنه سر المهنة وان رئيس مجلس ادارتهم هو اكبر مصمم للأزياء وأفضل خبير في الالوان..وكما قلت لك ان العمل محصور بينهم فقط.».

كانت بقية المعروضات دون المستوى المطلوب ولاتضاهي منتوجات كالفورتيكس، رغم ان جيسيكا إقترحت شراء انواع اخرى من الاقمشة لأزيائهم الجديدة..فهي تحاول منذ مدة ليست بالقصيرة أن تقنع كولن

بانتاج ملابس للشباب وبالوان براقة جذابة.

وبعد الانتهاء من طعام الغداء تلقى كولن مكالمة هاتفية من كالفورتيكس، وعند عودته قال مبشرا جيسيكا بالخبر.«انتهت المرحلة الاولى بنجاح لقد تحدثت تواً الى رئيسهم وسيقابلني غدا..وأخبرته أني سأصحب مساعدتي معي ووافق على تنظيم زيارة خاصة لمصانعهم..وبعدئذ نبدأ الاتفاق».

وبطبيعة الحال، لن تشترك جيسيكا مع كولن ومدير الشركة في المباحثات وستحاول قضاء الوقت في التجوال في المعرض..ولو أن كولن لم يقترح ذلك.

وغيرت ملابسها وانتقت بدلة جديدة من القديفة جذابة الألوان مع ثوب حريري مطرز الأكمال..وإطمئنت جيسيكا الى ان الالوان تناسبها تماما.

وأثنى كولن على حسن اختيارها قائلا:«تلائمك الجاكيته تماما فهي تشبه ملابس مصارعي الثيران وتتناسب مع طبيعة هذه البلاد..وبهذه المناسبة تعجبني طريقة التطريز على الاكمام..والان..لقد طلبت سيارة أجرة وقبل وصولها هلمي لتناول شيء من القهوة».

كان كولن يرتدي بدلة أنيقة مع قميص من الحرير..فهو رجل محافظ من الجيل القديم ومن الذين يؤمنون أن الملابس تكشف عن منزلة الانسان..وبالنسبة له..فالملابس الثمينة والراقية والأحذية المصنوعة باليد هي من مستلزمات الرجل الناجح.

يقع مصنع الأقمشة في ضواحي أشبيلية..وكان بناءا حديثا يتصل مباشرة بالميناء..وكما قال كولن فالمصنع ليس بعيدا عن الشارع الرئيس

www.rewity.com

والخدمات الأخرى..وعند وصولها استقبلها عند الباب شاب باسم الوجه يرتدي بدلة رسمية غامقة ونظر اليهما باحترام على الرغم من النظرة الخاصة التي رمق بها جيسيكا.

وقدم نفسه اليهما قائلا أنه يدعى رامون فيريز، وطلب منهما مرافقته لزيارة المصنع وقال: «بكل اسف لايستطيع الكونت التجوال معكما في المصنع شخصيا..غير أنكما ستتناولان الطعام سوية». والتفت الى جيسيكا معتذرا وقال: «اغفري لي نظراتي سيدتي لأننا لم نعلم أن مساعد السيد كولن وبقرإمرأة..إذ ربما ستضجرين من مشاهدة العمليات الكيمياوية في المصنع..».

- «كلا» قاطعه كولن بصوت مبحوح، بينما أظهرت جيسيكا شيئا من الأنزعاج من تعليقات الموظف الشاب بشأن النساء..في الواقع أن النساء الاسبانيات يختلفن عن الانجليزيات، فهن مقتنعات بحياتهن خاصة في العوائل الثرية..وبدون شك فان امرأة كزوجة سباستيان كالفادورس - إن كان متزوجا لاترغب البتة في التدخل في شؤون زوجها أو في تفاصيل مهنته..فقد تعلمت منذ الصغر أن تكون مطيعة وقنوعة بنمط الحياة التي تحياها وسط عائلتها وبيتها..

-«ستجد جيسيكا أفضل مني بمعرفة شؤون الصناعة والنسيج». قال كولن محدثا الشاب «في الواقع أظن أنها تفضل العمل مصممة للأقمشه بدل الازياء».

-«ان كلا العملين رائعان». عقبت جيسيكا.

وانقضت فترة الزيارة في المصنع حيث اطلعا على العديد من الأمور..وكانت المكائن والالات حديثة ومتطورة..وشاهدا مصانع

الاصباغ ولم ينبس رامون فيريز بكلمة واحدة حول طريقة تحضير الأصباغ وكل ماقاله لجيسيكا أنهم يستعملون بعض الالوان المستخرجة من النباتات.

-«لابد وان لديكم مشكلة تثبت الألوان» تساءلت جيسيكا بالحاح.

-«هذا هو الحال دائما». رد فيريز مبتسما. «غير اننا اكتشفنا طريقة خاصة لتثبت الالوان وليس بوسعي البوح بها كما تعلمين..وقد نجحنا فيها بالتأكيد». -«وماذا عن منتوجاتكم للعام القادم؟» سألت جيسيكا، «هل بوسعنا..؟»

وهز رامون فيريز رأسه بالرفض وقال: «الأمر متروك للكونت». وهنا نظر الى ساعته وقال: «سأرافقكما الى الصالة..فقد حان موعد تناول طعام الغداء..في باديء الأمر فكرنا في تناول الطعام سوية وكما شرحت لكما..لم نتوقع أن يكون المساعد إمرأة..!».

وعاد الجميع الى الصالة حيث اقتربت إحدى السكرتيرات من كولن وطلبت منه مرافقتها الى غرف المدير الخاصة تاركين جيسيكا لوحدها مع رامون فيريز.

ودهشت عندما صحبها فيريز الى خارج المصنع حيث كانت سيارة بانتظارهما وقال:

-«الطعام جيد هنا في مطعم المصنع غير ان الجو لايلائم المناقشات الجدية وعلى أية حال فبالقرب من هنا يوجد مطعم اخر».

-«وماذا بشأن المدير؟» تساءلت جيسيكا بفضول.

-«لديه غرفة طعام خاصة ملحقة بالمكتب ويستخدمها لدعوات العمل». قال فيريز وهما يدخلان مطعما قريبا من المصنع وقد أعجبها طراز

www.liilas.com

البناء والاثاث الموجودة فيه وشرح لها فيريز تاريخ إنشاء المطعم قائلا: «يوجد قبو تحت الأرض هنا وهو أمر مألوف في اسبانيا ويعود تأريخه الى الماضي البعيد...».

—«واظن أن بعضها إستخدم سجنا». قالت جيسيكا وقد خيل اليها أن العديد من البشر قد سجنوا في هذه الأبنية وسرت قشعريرة في جسدها.

—«نعم فالعديد من العوائل في بلادنا تستخدم الأبنية عند الحاجة». قال فيريز.

وسألته عما اذا كانت عائلته من سكان المنطقة الأصلية أجاب:

—«كلا..ان الكونت كالفادورس من أهل البلاد العريقين ويقال أنه إغتصب ابنة غريمه..ولو أن عائلته تنكر ذلك..ويقال أيضا أن الفتاة قد اغراها ابن عمها وخشي ابوها إفتضاح أمرها وألقى باللائمة على عدوه اللدود أي الكونت.ومن اجل أن يحافظ على سمعة العائلة فقد تزوجها..وهذه هي القصة كما ترويها العائلة نفسها».

وقطبت حاجبيها فالامر لايعنيها سواء غضب سباستيان ام إبتسم..فمن غير المتوقع أن تلتقي به مرة ثانية..

كان رامون فيريز رجلا مجاملا، ولو أن جيسيكا كانت تشك في صدق نواياه تجاه النساء لأنه يكره أن يرى النساء في عالم يظنه مقفلا على الرجال فقط..مع ذلك فقد أجاب على جميع اسئلتها برحابة صدر..

وبدأت جيسيكا تستفسر منه عن بعض الجوانب الفنية حول المصنع وقال:

—«عليك ان تسألي الكونت عنها فأنا مدير للعلاقات العامة ولست خبيرا فنيا..والكونت يعرف الكثير عن المصنع ..فقد ولدت فكرة إنشائه منذ

ان كان صبيا يعمل في مزرعة جده في امريكا الجنوبية..ويقوم باستيراد أجود أنواع الاصواف من مزرعة شريكه السيد كوسيوفاس ويرغب حاليا في تعميق هذه العلاقة ويقال أن ابنته تصلح زوجة للكونت..أرجو المعذرة..لايتوجب على البوح بذلك..اذ ان الكونت..». وترددبا كمال عبارته..

—«لقد نسيت كل ماقلته توا». ردت جيسيكا وهي تحاول تطمينه..وكانت مسرورة للتحدث مع فيريز..ولم لا وهو رجل غريب عن المنطقة وربما يشعر بالحنين مثلها للعودة الى مدينته وهو يعيش مع عائلة تلفها الاسرار والأخطار..فالحذر يسود هذه الارجاء من البلاد على مايبدو.

—«أنا مضطر للذهاب ولن يغيب السيد ويفر طويلا، فلدي بعض الاعمال لأنجازها وستكونين بأمان مع كونستاشيا..».

وكونستاشيا هي سكرتيرة المدير..وحيت جيسيكا وقدمت لها قدحا من القهوة سرعان ما إرتشفته جيسيكا لأن الخمر الذي إحتسته مع طعام الغداء أشعرها بالعطش.

وغادرت الفتاة الغرفة لبضعة دقائق عندها فتح الباب فجأة واذا بصوت ينادي: «كونستاشيا..!».

توقف قلب جيسيكا عن الخفقان حين ميزت ذلك الصوت..كانت على وشك السقوط من مقعدها فقد تجمد الدم في عروقها وشحب لون وجهها، عندما دخل سباستيان دي كالفادورس الغرفة والتفت اليها وهو لايصدق عينيه وقال ساخطاً: «يالهي! هل تلاحقيني الى هنا! هل فقدت كبرياءك؟ هل فقدت حياء الأنثى؟لقد أخبرتك يالانسة بصراحة أن

www.rewayti.net

شقيقي لايرغب فيك..ولن تعثري عليه هنا فقد غادر المنزل لزيارة خطيبته..وهي فتاة شابة من عائلة ممتازة..وهي تفضل الموت على أن يعلم خطيبها انك حامل!».

وردت عليه قائلة: «هل تعني انك أبعدت شقيقك عن المنزل لتحول دون مقابلتي له..؟»

-«كلا..فلم أعلم بمجيئك..مع ذلك فانا واثق ان جورج سيشكرني لانقاذه من هذه الورطة..ماذا تفعلين هنا؟ هل لترغيمه على تغير رأيه وليتحمل بأسم عائلته..إسمنا؟»قال سباستيان والكبرياء يملأ عينيه.

وقبل أن ترد عليه جيسيكا دخل كولن الغرفة وقد إنفرجت أساريره..

-«أهلا جيسيكا..ياعزيزتي..متى عدت؟ حضرة الكونت..». والتفت الى سباستيان مبتسما وقال: «إسمح لي ان اقدم لك مساعدتي..جيسيكا أقدم لك الكونت دي كالفادورس، رئيس مجلس ادارة كالفوريتكس».

-«هل هذه مساعدتك التي كنت تثني عليها طوال الوقت؟»قال سباستيان وهو يحاول إخفاء الصدمة التي أصابته.

إذا ان سباستيان هو رئيس كالفوريتكس ويعتمد نجاح كولن في المستقبل عليه..وشعرت بقلبها يغرق في أعماقها لأنها أحست أنه سيرفض كل طلبات كولن لأنها طرف فيها.

-«ربما لأنني امرأة..فهو يفضل أن يراني سجينة خلف باب موصدة أو ربما في إحد الأبنية في إشبيلية». قالت جيسيكا متظاهرة بالمرح وهي تعلم أن الكونت قد فهم معنى عبارتها جيدا.

وإبتسم كولن من تعليقها وقال: «لقد دعاني لتناول العشاء سوية فلم

ننهي المباحثات بعد».

وخفق قلب جيسيكا، وخشيت أن يؤثر الموقف على قرار سباستيان الأخير. وبالتأكيد فان سباستيان كأي رجل أعمال يبني قراراته على مصلحته التجارية فقط..غير ان ماقاله رامون فيريز عن عائلته كان يثير الشكوك لديها..فهل سيرفض مقترحات كولن وطلباته لأنها تعمل لحسابه؟

عادت كونستا سثيا مع شيء من القهوة وتناولته جيسيكا بلهفة لأنه سينقذها من نظرات سباستيان القاسية.

يالها من مصادفة مخيفة..فلم يخطر على بالها ابدا ان يكون شقيق جورج رئيسا لشركة كالفوريتكس في نفس الوقت.

-«بالطبع ان جيسيكا مهمة جدا بالنسبة لي لانها تتحدث عدة لغات بطلاقة» قال كولن بينما كانت تستمع الى الرجلين يتحدثان عنها وهي ممسكة بقدح القهوة بكل قوة.

-«يالها من مصادفة غريبة..»قال سباستيان بلهجة تنم عن سخرية مما أعاد الشحوب الى وجهها«أظن انك قلت أنها متخصصة في تصميم الأقمشة والنسيج؟».

-«نعم». أجاب كولن مسرورا.«في الواقع أنها مولعة بذلك..واعلم أننا معها فعلنا لايمكننا مضاهاة منتوجات كالفوريتكس».

-«أظن انك اردت استعمال الهاتف..سترافقك السكرتيرة الى الغرفة المجاورة وتساعدك في الحصول على الرقم الذي تطلبه». قال سباستيان محدثا كولن.

وعندما نهض كولن وهم بمغادرة الغرفة شعرت جيسيكا بالحاجة الى

www.rewity.com

أن يبقى جنبها..فقد أحس بالخوف من سباستيان الذي قال:

-«صدفة غريبة..وبالرغم من انوثتك وتحررك فانت لاتختلفين عن النساء لدينا في البحث عن رجل ثري يهون عليكن مصاعب الحياة..ولو انك لاتمتلكين النزاهة لكي تعترفي بذلك ولا الذكاء في جعل الطعم الذي تصطادين به الرجال مغريا خاصة وان الرجال الأسبان يتوقعون البراءة والنقاء في النساء..فلا عجب اذا في محاولتك مع جورج..فشاب مثله يجد لذه في التجربة..غير انك حمقاء اذ تظنين أنه سيقبل بك زوجة».

وهنا لم تستطيع جيسيكا إيقاف يدها التي إمتدت لتحطم تلك الأبتسامة الساخرة ولطمت سباستيان على خده..ولكن سرعان ماأحست بالغثيان..ماالذي أصابها؟ فلم تلطم أحدا في حياتها!

ويبدو أن سباستيان شاركها هذه الصدمة..فقد تحسس أثر اللطمة ولامست أصابعه خده المحمر وتطاير الشرر من عينيه..غير أن جيسيكا لم تستسلم..ولم تدعه يلاحظ الرعب الذي اعتراها.

-«ياالهي! ايتها المتوحشة!» قال كالفادورس«لايصفع إنسان كالفادروس ويذهب دون عقاب!».

وانتفض من مكانه صامتا كالقط الوحشي وأمسك بها من معصمها وشد عليه بقسوة وحاولت جيسيكا التخلص من قبضته لكنه شدها نحوه بكل قوة وهو مازال ممسكا بيدها..وغرز أصابعه في كتفها واقتربت عيناه الرماديتان من عينيها والغضب يتطاير منهما وقال«ياالهي!»

وسمعته جيسيكا يتمتم كلمات أحست وكأنها رماد تحت قدميه الصلبتان وارتعد جسدها خوفا منه..ذلك الرجل الذي اثار فيها الرعب والرغبة سوية..

ابتعد سباستيان عنها بعد ان احس بالانتصار عليها وقال:

«انا لست جورج يانسة جيمس..ان حرارة جسمك قد جعلتني أرتجف..خاصة وانا لست اول رجل في حياتك!».

-«ايها المنافق». ردت جيسيكا وهي تبتعد عنه قليلا «من الواضح انك تتوقع ان تكون زوجتك المقبلة - ان كنت راغبا في الزواج - نقية كالثلج غير اني متاكدة ان ذلك مجرد ادعاء فارغ!».

-«أظن أن المرأة التي سأتزوجها تختلف عنك وعن عالمك الخاص». قال سباستيان ساخرا.

-«أي كالفرق بين الفتاة التي أراد جورج الزواج منها وبيني». قاطعته جيسيكا وهي تشعر أن كرامتها قد جرحت«وكيف لي أن أعلم بنية جورج في الزواج من تلك الفتاة..اذربما فكرتك بالأساس؟»

-«ياالهي لقد أخبرك جورج بنفسه» قال سباستيان وقد نفذ صبره.

-«ربما لأنك تصر على ذلك». قالت جيسيكا دون أن تعلم سبب مرواغتها له عدا أنها ماتزال تستهجن نظراته اليها خاصة بعد ان ترك معصمها..«إذاً لابد وان ألتقي بجورج شخصيا واتحدث اليه..»

-«لن اسمح بذلك مطلقاً!» أجابها سباستيان بعصبية ممزوجة بالاحتقار.

ولكن لماذا أصرت جيسيكا على مقابلة جورج فليس لديها ماتقوله له..غير أن شيئا خفيا كان يرغمها على الالحاح بطلبها في مقابلته وقالت:

-«لاتستطيع منعي من ذلك!»

-«ماهذه الجرأة على التحدي؟ فلست سوى شيطانة حمقاء!».

www.rewity.com

الفصل الرابع

-«هل ستكونين على مايرام؟» سأل كولن للمرة الرابعة.. وتنهدت جيسيكا وقالت:

-«ستقضي الأمسية مع أصدقائك وسابق لوحدي هنا.. بالطبع ساكون على مايرام!».

وعند الثامنة والنصف، غادر كولن لتناول العشاء مع سباستيان دي كالفادورس وعندها تهالكت جيسيكا على المقعد وحاولت نسيان كل ماحصل لها فما زالت اعصابها متوترة منذ ان غادرت المصنع.. وأحتارت بين ان تطلع كولن على الأمر أم تبقيه بعيدا عنها.

ليس من المؤكد ان يحرم سباستيان كولن من العقد التجاري بينهما لمجرد انها تعمل لحساب كولن.. ولو انها لاحظت النية في عينيه على معاقبتها بشتى الوسائل حتى لو كلفه ذلك حياته.

وأفضل طريقة لمعاقبتها، هي عرقلة توقيع العقد التجاري مع كولن..وفكرت جيسيكا بالذي سيحصل لها لو أن كولن أرغم على طردها من عملها اذا ماهدد بقاءها معه مستقبل مهنته.. ورغم كفاءتها وخبرتها فسيكون من العسير عليها أيجاد عمل اخر يناسبها.

وهنا تذكرت القبلة التي طبعها سباستيان على شفتيها.. وصعدت الى غرفتها قبل ان يعود كولن وتمنت ان يمر كل شيء بسلام، فقد كان كولن متفائلا عند سفره.

وعند الفطور سألت جيسيكا «كيف سارت الأمور مساء أمس ؟» .

وأجابها كولن وهو يحاول تجنب عينيها «كان كل شيء على مايرام ..

فقد رحب الكونت بمقترحاتي...».

-«وهل وافق عليها أيضاً؟» سألت جيسيكا بقلق لأنها أحست بتردد كولن في الاجابة على اسئلتها «لابد وانه وضع شروطاً .. فما هي؟».

ومرت برهة قبل أن يتحدث كولن.. ولاحظت عليه نظرات الحيرة والتوسل معاً.. وعندها ساورها الشك أن في الأمر شروط.. أذا لقد اشترط سباستيان التخلص منها لقاء توقيع العقد.

-«يريدك أن تطردني من العمل، اليس كذلك؟» قالت جيسيكا بهدوء.

-«أنا.....».

-«كلا ياجيسيكا» قال كولن مطمئناً. «على العكس تماماً.. يبدو أنهم يلقون بعض المشاكل في تصميم أقمشتهم للسنة القادمة، وكان أحد المصممين يعمل مع الكونت في الانتهاء من التصميم غير أنه ترك العمل مؤخراً.. ويبحث الكونت الآن عن شخص آخر ليحل محل المصمم الأول... وقد طلب مني أن أقنعك بالعمل معه لحين انتهاء الموسم.».

لم يكن ذلك ما توقعته جيسيكا أبداً.. وواصل كولن حديثه:

-«كما ترين.. فانت مخطئة بحقه.. فقد دهش عندما ذكرت له مواهبك وعند العشاء سأل كثيراً عنك وعن فترة اشتغالك معي وخبرتك في العمل.. وبصراحة لا أعلم ماذا يبغي من كل تلك الأسئلة ولكن يبدو أن رامون فيريز قد حدثه عنك وعن اهتمامك بالمصنع ومعلوماتك بالعمليات النسيجية».

-«من المؤكد أن شركة مثل كالفورتيكس لاتجد صعوبة في ايجاد مصمم أقمشة».

قالت جيسيكا وهي تشك في غاية سباستيان من هذا العرض..

www.liilas.com

خاصة وأنها تعلم أنه يحتقرها وينوي إبعادها عن شقيقه.

-«بالتأكيد». أجاب كولن. «ولكنه يبدو متردداً في تشغيل مصمم بصورة دائمية في هذا الوقت، فانه يفضل توظيف شخص بشكل مؤقت لذلك فقد إعترف بصعوبة إيجاد مثل هذا الشخص.. ويبدو أن شقيق الكونت سيحل محل المصمم السابق في المستقبل ولهذا فهو بحاجة ملحة الى شخص يكمل له تصاميم الموسم القادم.. وهو يتشرف بالطلب اليك بالعمل معه خاصة وانت تتمنين العمل في صناعة الأقمشة.. وبهذه المناسبة فسأحتفظ بعملك معي، ولاننا بكل حال من الاحوال لانستطيع مواصلة عملنا دون معرفة الطراز الجديد لمنتوجاتهم.».

-«وهل يشترط العقدإشتغالي لحساب كالفورتيكس؟»تساءلت جيسيكا مقطبة وهي لاتفهم سبب وضع الكونت للشرط الذي لن يكون لمصلحتها بأي حال من الأحوال.

-«لم يقل ذلك حرفياً». رد عليها كولن «غير أني أظن ان إمتناعك...».

وقبل أن يكمل كولن عبارته أحست جيسيكا أن الكونت قد مارس ضغطاً على كولن لتحقيق مأربه، وعلى الرغم من حبها للعمل في مصانع النسيج الاّ أنها لاترغب أبداً العمل لحساب سباستيان دي كالفادورس... لكن ما العمل لو رفضت؟ وهنا احست الحاجة الى شخص ما لطلب المشورة بدل أن اعتادت على تقديمها للاخرين.

-«ماذا حصل؟» سألها كولن بتردد. «ظننت انك ستطيرين من الفرح!».

-«انها حقاً لمفاجأة». اجابت جيسيكا بصدق.«وهل سيطول بي البقاء في أسبانيا كثيراً؟».

-«لا أعلم» أجاب كولن. في بادىء الأمر طلب مني الموافقة على العمل

معه بصورة مؤقته وعن رغبتك في العمل لحساب كالفورتيكس.. وهناك أمر آخر.. فقد كان مستعداً لدفع مرتب مغرٍ جداً!».

ومرت برهة قصيرة! إسترجعت خلالها جيسيكا ماحصل بينها وبين الكونت، وارتأت أن تذهب اليه وتخبره بما يجب أن يفعل بأمواله ومصانعه.. غير أنها عدلت عن هذه الفكرة الطائشة وفكرت بمستقبلها.. وكان كولن يراقبها عن كثب.. ولم تستطع أن تخبره برفضها لهذه الفرصة الذهبية، فلربما تكتسب خبرة جديدة من العمل معه وبعد مضي بضع سنوات سيمكنها الاعتداد بنفسها وتصبح ذات خبرة واسعة لأنها عملت مع كالفورتيكس..

-«هل ستقبلين اذاً؟» قال كولن وهو يعلم انها ستوافق. «حسنٌ... سأخبره حالاً وأنقل له الأخبار السارة.. ويود الالتقاء بك لدراسة بعض الأمور المتعلقة بالعمل».

-«بالتأكيد» ردت عليه جيسيكا بسخرية وهي تتخيّل وجه سباستيان وضحكته الممزوجة بالكبرياء الخانقة عندما وافقت للعمل معه.. فبدأت تشك في أحتمال ندمها نتيجة ضعفها واستسلامها له..

كانت جيسيكا في غرفتها.. وفكرت بالاستحمام قبل تناول الطعام.. وأسرعت الى الحمام واستمتعت بالماء البارد يرطب جسدها.. وفجأة سمعت طرقاً على الباب وظنت أنها الخادمة وقد جلبت لها الطعام.. وخرجت من الحمام وقد لفت جسدها بالمنشفة وفتحت الباب وذهلت عندما شاهدت سباستيان دي كالفادورس أمامها وهو ينظر اليها من زاوية عينيه وقد إتكأ على جانب الباب.

-«ظننت أنها الخادمة..» قالت جيسيكا باضطراب والخجل يغمرها

www.rewity.com

«انا... ماذا تريد؟».

-«أريد التحدث اليك... لابد وان كولن أخبرك بمقترحاتي».

-«ولكن كولن قال انك ستتصل باهاتف... على الأقل..» ولم تتذكر بالضبط ماقاله كولن اذ أن وجود سباستيان أمامها وهي نصف عارية قد اربكها بحيث لم تعد تعي ما تقول.

-«هل ستدعوني للدخول أم نواصل حديثنا أمام بقية النزلاء.. أظن من الأجدر أن ندخل الغرفة..» واندفع بهدوء الى داخل الغرفة وأوصد الباب برقة.

-«ولكني عارية..» قالت جيسيكا باحتجاج وقد أحمرت وجنتاها.

-«إنها خدعة قديمة ولاتنطلي على رجل مثلي.. فأنا حصين أمام النساء اللواتي يخدعن الرجال بأجسادهن من أمثالك».

-«وهل تتوقع بعد كل هذا أن أعمل لحسابك؟ انه آخر شيء افكر به في حياتي».

-«دعك عن هذا الكلام... والآن ما رأيك بالعمل معي؟» قال سباستيان بهدوء.

كان سباستيان في أوج كبريائه.. فأي رجل حصين غيره كان ليدعوها الى النزول الى صالة الفندق أو على الأقل السماح لها بارتداء ملابسها قبل الدخول الى مخدعها.. ولم يكن ذلك متوقعاً من سباستيان الذي يريد أن يضعها في أحرج المواقف..

-«لاأظن انك تريدني معك» قالت جيسيكا وهي تحتج على وجوده معها وشعرت وكأنه يتفحصها بامعان جزءاً جزءاً.

-«إسمعي.. انت لست بحاجة الى عبارات الثناء لتشجعي.. المهم.. أن

مديرك قد اكد لي انك مصممة أزياء من الدرجة الأولى، وقد اعتمدت على رأيه فيك، ولأني بحاجة ماسة الى مصمم ومستعد، لتناسي بعض الجوانب عن شخصيتك.. والأمر بهذه البساطه كما ترين!».

-«إذاً.. لقد هددت كولن بعدم توقيع العقد معه لأنك بحاجة ماسة الي!».

-«كما قلت لك.. المنفعة قبل كل شيء.. فأنا متأخر عن بقية الشركات بالنسبة للموديلات الجديدة.. هذا بالأضافة الى بعض المشاكل في الاصباغ.. أنا كيمياوي ولست مصمماً.. لذلك حصل بعض التلكؤ في العمل.. وكأي رب عمل أنا مضطر لاحترام مواعيدي والالتزام بها إمام الزبائن.. والاتفاق مع كولن كان تجارياً بحتاً وقد فهم الموضوع أفضل منك.. وسأساعده اذا عملت معي.. ثم ليس في الأمر ما يعيب؟» ورغم كل ما قاله سباستيان فما زالت جيسيكا حائرة اذ أنها تشعر أنه يضمر سوءاً نحوها.. شيء لا تعلم سرّه الآن.

-«وتريدني أن اعمل معك لبضعة أسابيع، أليس كذلك؟».

-«لمدة شهرين على الاكثر.. فالسيد ويفر يستطيع الاستغناء عنك طيلة هذه الفترة.. فهو لا يعلم شيئاً عن حقيقة شخصيتك.. ولكن اذا أردت إنقاذ شركته من الضياع.. فلا خيار أمامك سوى الموافقة للعمل معي.».

-«إنك»..... ولم تستطع جيسيكا إتمام عبارتها اذ قاطعها قائلاً:

-«لا وقت لسماع المزيد.. أما القبول أو الرفض.. وان رفضت ففكري بالثمن الذي ستدفعيه!».

وأطرقت جيسيكا برأسها.. وفكرت بعرضه الجائر والرعشة تسري في جسدها المكشوف له.. فهل ترك لها الخيار؟

www.rewity.com

–«أنا.. موافقة». قالت جيسيكا وهي ترى نشوة الأنتصار في عينيه وقال:

–«ذلك عين العقل، إذاً فاستعدي منذ الصباح وسأحضر في التاسعة لنغادر وبذلك نكون...».

–«نغادر؟».

–«نعم... ألم يخبرك كولن بالأمر؟» قال بسخرية. «في نيتي قضاء الشهرين القادمين في مزرعتي.. فعندي مسؤوليات هناك بالأضافة الى أن المكان هادىء ومريح وبوسعنا الانتهاء من التصاميم دون مضايقات.. وتوجد مختبراتي هناك حيث أقوم بمزج الألوان للاقمشة.».

–«لن أصحبك الى هناك». قالت جيسيكا.

– «لا أظن ذلك. فقد قلت قبل خمس دقائق انك مستعدة للعمل معي ولا أعتقد أن نزولك ضيفة على عائلتي، بدل البقاء وحيدة في الفندق قد غيّر رأيك بهذه السرعة! فكري بكولن ومستقبله ومستقبلك أيضاً كما أنا افكر بمستقبل شقيقي».

–«جورج؟» صاحت جيسيكا بدهشة. «وما علاقته بكل هذا؟».

«الأمر يعنيه تماماً» رد عليها سباستيان. «فهل صدقت اني سأتركك في اشبيليه بانتظار عودة شقيقي لكي تبدأي بمضايقته من جديد وتروجي الاشاعات عن علاقتكما لكي تسمعها خطيبته؟ ان اشبيليه مجتمع ضيق ومتشدّد .. فلن يسمح والد بربارة لابنته بالزواج من جورج إذا ما علم شيئاً عن علاقتكما.».

–«في البداية ظننت أن رأي بربارة أهم من رأي أبيها». قالت جيسيكا بتهكم. «إضافة الى ذلك فليس في نيتي المكوث في أسبانيا.».

–«تتحدثين عن الأم وكأنك لم تأتي الى اسبانيا لمشاهدة شقيقي! ليس بوسعك نكران الحقيقة خاصة وانه كتب اليك بشأن إنهاء العلاقة.. حتى لو أقسمت على عدم الالتقاء بجورج فلن اصدقك.. فهناك وسيلة واحدة فقط للحد من تدخلك في شؤوننا».

–«وما هي؟». تسألت جيسيكا. «وهل كوني موظفه لديكم يعني ان لا يصدق أحد بوجود علاقة بين أحد أبناء كالفادورس وبين عاملة بسيطة؟».

وبدت عيناه متحجرتان كالمرمر، اذ أن سخريتها من عائلته جعلته يشتاط غضباً وقال بحدّه: «أبداً.. ولكنهم لن يجرؤوا على الاعتقاد أن جورج يتورط مع عشيقتي.».

–«عشيقتك؟ وهل تريد أن أسمي عشيقتك أمام الآخرين؟ ان هذا أمر شائن فكيف تجرؤ على ذلك؟».

وتصلبت عضلات وجهه، وكاد أن يسمع خفقان قلبها المضطرب وقال:

–«ظننت انك عدلت عن فكرة التحدي.».

يالسخرية القدر.. في بادىء الأمر إتهمها على أنها عشيقة شقيقة والآن يريدها عشيقة لنفسه!

–«إنك تبالغ.. لن يصدقك أحد.. فهل أصبح عشيقتك لمجرد أن أعمل لحسابك؟».

–«كلا بالطبع!» قال موافقا. «غير أننا سنعمل سوية في منزلي وسأبذل جهدي لجعل العلاقة بيننا اكثر من مجرد علاقة عمل!».

–«ليس ذلك ضرورياً». صرخت جيسيكا بقوة.

www.rewity.com

-«ليس ضروريا بالنسبة اليك. وليس بالنسبة لي، ان لقب كالفادورس يعني الكثير ولن أسمح تمريغه في الوحل لأن مرأة جشعة مثلك تحاول إبتزاز شقيقي واغرائه على الزواج منها».

وازداد حنقها خاصة بعد عبارته الاخيرة. ومن هو لكي ينطق بالحكم الجائر عليها؟

-«حسنا، ان كنت تتوقع إيقافي عند حدي كم ترعم بارغامي على الذهاب معك الى المزرعة فانك على خطأ كبير. لأنني لن أرافقك ولا توجد وسيلة ترغمني على أن أفعل ماتريد!»

-«لقد وافقت بالعمل معي توا وبمحض ارادتك. والاّ..» وهنا قاطعته جيسيكا قائلة:

-«والاّ إمتنعت عن توقيع العقد مع كولن، أليس كذلك؟»

-«بالتاكيد سيتفهم الأمر خاصة عندما تضطرين لشرح أسباب رفضك».

بالطبع ليس بوسعها شرح تفاصيل المشكلة على كولن. وبدا كل شيء معقدا أمامها. فكيف ستتصرف بعد الان؟ وهل ستعرض إيزابيل لغضبه. وهل يمكنها البوح بالحقيقة. إذ ربما سيذهب سباستيان الى لندن لتخويف ايزابيل وارغامها على فعل أمر تندم عليه. وماذا بشأن جون وماهو رد فعله عندما يعلم ان خطيبته على علاقة مع رجل أسباني في الوقت الذي تفكر بالزواج منه؟ كلا لن تبوح بالحقيقة ولم يبق أمامها سوى الموافقة للرحيل مع سباستيان وتحمل جميع النتائج المترتبة على ذلك أو الرفض وتعريض مستقبل كولن للتهديد. وهل أمامها خيار ثالث؟

أحست جيسيكا أنها مضطرة بل مرغمة على الموافقة والاستسلام على مضض لأحابيل سباستيان القراصنية.

-«سأرافقك!». قالت جيسيكا ببرود «غير انك ستضطرني الى القيام بما أراه مناسبا اذا ما جعلت الاخرين ينظرون الينا نظرة بعيدة عن زمالة العمل التي تربطنا».

-«ومن قال أني سأخبرهم». قال بسخرية. «هناك وسائل مجدية غيرها.. على سبيل المثال..».

وقبل أن ينهي عبارته شدها نحوه وذراعاه ملتفتان حول خصرها بحيث شعرت بدقات قلبه تهزها هزا. وكادت تختنق من رائحة العطر التي تفوح من ملابسه والتي أثارت أحاسيسها وشلتها عن الحركة تماما وصرخت متألمة:

-«إتركني».

وشاهدت ابتسامة ساخرة على شفتيه المقوستين وعلمت حينها أنها وقعت فريسة للصقر البري المتوحش.

-«إنك ترتعشين..» قال سباستيان محاولا التقرب منها اكثر فاكثر، واحتارت بين الاستسلام له ولرغباته أم المقاومة. واحتقرت نفسها لانها كادت أن ترضخ له..

-«ماالامر؟» سألها سباستيان. «إنها ليست تجربتك الاولى مع الرجال، اليس كذلك؟».

وهنا قررت جيسيكا أن تتخلص من براثنه حتى لو كلفها ذلك العمل مع كولن وقالت:

-«لن أعمل معك ولن أصحبك الى المصنع» صاحت بغضب وعصبية.

www.rewity.com

-«هل ترفضين بسبب مافعلته معك الان؟» قال سباستيان بشيء من الجدية. «إطمئني.. ستكونين بأمان معي وكأنك في دير.. فلن أحاول اغراءك بطريقة أو باخرى.. وهذا تعذير أيضا. أعدك انك ستكونين على مايرام.. وعلى أية حال.. سنرحل عند التاسعة من صباح الغد.. كوني مستعدة».

نظرت جيسيكا الى ساعتها وكانت تشير الى الثامنة والنصف صباحا ونظرت الى حقائبها وتساءلت فيما اذا كانت تفعل الصواب، فلو امتلكت قليلا من الكبرياء لأستقلت أول طيارة عائدة الى بريطانيا.

وسمعت طرقا على الباب ودخل الخادم لحمل حقائبها وتبعته جيسيكا الى صالة الفندق وطلبت قدحا من القهوة في محاولة لتهدئة اعصابها المضطربة.. وهي تلوم نفسها على مكوثها في اسبانيا وعدم الرحيل الى لندن مع كولن.. اذ أنه سيتفهم حالتها اذا ماشرحت له الموقف.. ولكنها لم ترغب في تبديد الحلم الذي جاءت الى اسبانيا من اجله.. كانت خائفة، وانبت نفسها على ضعفها.. وفجأة حضر سباستيان وهو يرتدي بدلة داكنة اللون وقميصا من الحرير وقال:

-«هلم بنا».

وتوقفت جيسيكا برهة واستعادت الاحداث التي مرت عليها في اشبيلية وتساءلت عن هذا الرجل الذي التقت به صدفة وهاهي تربط مصيرها بمصيره دون أن تعرف المزيد عنه ومن يكون.. اذ لاتعرف سوى أنه متعجرف يحمل إسم عائلة ويعتز بها الى درجة الجنون.

-«توقفي عن النظر الي بهذه الطريقة وكأن لي رأسين!» قال سباستيان بأدب. «أوكد لك انك ستكونين بخير.. طالما تصرفت بأدب!»

-«وماذا سيحصل ان لم افعل ذلك؟» سألت جيسيكا وهي تريد ردا.

-«هل ستعاقبني كما فعلت يوم أمس عنوة؟»

-«إحذري ياانسة جيمس.. انت تتحديني بكل طيش، بحيث بدأت أظن ان طريقة عقابي أعجبتك.» -«لن اكون لرغباتك ميناء ترسو فيه متى شئت!». ردت جيسيكا وهي تشعر بالضيق لأنه يلمح الى انها هي التي طلبت منه تقبيلها وملامستها..

-«انك على خطأ كبير» قالت بمرارة. «أفضل تحمل أعتى العواصف وأشدها على البحث عن ملاذ بين ذراعيك!»

ولوهلة ظنت أنها قد نالت منه أخيرا.. فقد صعق لكلامها.. ولكنه تناسى الأمر ورافقها الى خارج الفندق حيث تنتظرها سيارة مرسيدس.

ونظرت جيسيكا الى السيارة وفكرت أن لاعودة لها بعد الان.. وترددت وهي تتمزق حيرة بين ركوبها او الهرب بعيدا ومهما كلف الامر.

-«لاتفعلي ذلك». همس سباستيان في اذنها. «فأين ستهربين هيا.. اركبي وكفي عن معاملتي وكأني من اصحاب السوابق، لن أصيبك بأي ضرر طالما بقيت مهذبة معي».

توجهت جيسيكا نحو باب السيارة الخلفي دون أن ترد عليه.. ولكنه سارع بفتح الباب الأمامي لها.. وقالت:

-«مالأمر هل تخشى أن أهرب؟».

-«المفروض أن نبدو للجميع كعاشقين.. فلا بد وان تجلسي الى جواري».

-«كلا». قالت جيسيكا بسخرية. «وحسب معرفتي بالعادات الاسبانية فان المقعد الخلفي مخصص للزوجات فقط!».

www.rewity.com

وقطعت السيارة بضعة كيلومترات ..وكلاهما صامت..واضطربت كلما رمقها سباستيان بنظرة جانبية..وكان يقود السيارة بسرعة وحذر والتفت اليها قائلا: لقد قلت لك أن لاشيء فيك يثيرني.. ثم اراك تتمسكين بقوة بمقعد السيارة وكأنك تخشين ان اهجم عليك أو ربما تمثلين علي دورا..فأنت تضيعين وقتك ولو اني لااعرف الكثير عنك فلا أصدق أن أرى فتاة أوروبية مثلك في ربيعها العشرين قد إحتفظت ببراءتها لحد الان؟!».

-«ولم لا؟»قاطعته جيسيكا.«ان كان ماتقوله صحيحا فان جميع الفتيات الاسبانيات يحتفظن بعذريتهن لحين الزواج وانت تعلم جيدا أن الحقيقة عكس ما تقول».

-«لن اجادلك في الامر..ولكني أنصحك بعدم إستغلال صبري للكشف عن خصال حميدة لاتمتلكيها!».

لم تعلم جيسيكا كم ستستغرق الرحلة الى المنزل الريفي..وبعد مرور اكثر من ساعتين..أدركت صعوبة العودة اذا ما فكرت بالمغادرة.

-«لم يبق سوى ساعة حتى نصل المنزل».قال سباستيان.

-«كيف بوسعك العمل في مكان بعيد جدا عن المصنع؟».

-«توجد هواتف».أجابها سباستيان.«فالمنزل ورثناه عن اجدادنا ومازلنا نزرع الكروم ونصنع منه أجود أنواع النبيذ، ولو أن مزارع اخرى بدأت باانتاجه.».

وشعرت بالنعاس ولكنها أرغمت نفسها على ان تبدو له نشطة ومهتمة بحديثه..

ودقت الساعة عند الثانية عشرة حين استدارت السيارة نحو طريق

جانبية مثيرة الغبار وراءها..وكانت اشجار الكروم تمتد حتى الافق البعيد..وبدا المنزل من بعيد وكان يتوسط عددا اخر من المنازل الصغيرة ذات السقوف البيضاء التي تعكس نور الشمس مما أضفى عليها سحرا متميزا..

-«لقد شيد جدي الكبير هذا المنزل قبل اكثر من قرن وكانت هذه الضيعة مهرا لزوجته حيث شيد المنزل وسطها..وقد أضاف أبناؤه واحفاده الكثير إليها محتفظين بالطابع الأصلي للبناء..»

ونظرت جيسيكا اليه وهو يتحدث بزهو عن أسلافه..واعطته الحق في ذلك..فكان يبدومستعدا لتقديم حياته من اجل عائلته وسمعتها..

وتوقفت السيارة عند المدخل وفتح سباستيان الباب لها..ونزلت جيسيكا من السيارة بحذر خاصة وان عددا من المستقبلين قد تجمعوا حولها وأحست بالدوار وبحثت عن شيء تستند عليه لكي لايغمى عليها وعندها مال عليها سباستيان وطبع قبلة على شفتيها دون أن تنتبه إليه..وأحست أن الزمن توقف وتدفقت العواطف الى قلبها المضطرب وسمعت صوت سباستيان وهو يتحدث بالانجليزية «ياصوفيا اقدم لك جيسيكا».

نظرت صوفيا عمة سباستيان الى جيسيكا من خلال عينيها الداكنتين وقالت: «لقد وصلتم في موعدكم..فالطفلة متلهفة لرؤياك وطلبت منا قبل وصولكم أن تأخذ قسطا من الراحة..وهي دوما هكذا عندما تعلم بمجيئك».

-«ان عمتي تتحدث عن الفتاة القاصر التي تحت وصايتي»قال سباستيان موضحا«وهي تعيش مع عمتي،وستمكث معها حتى بلوغها سن

www.rewity.com

المدرسة». ووضع يده على كتفها..بحيث أحست جيسيكا ان العمة ادركت عمق العلاقة بينهما.

-«لقد أعددت غرفة روزالندا للضيفة». قالت العمة.

-«ان روزالندا اسم أول عروسة لعائلة كالفادورس تقطن في هذا المنزل». قال سباستيان.«ان غرفتها تقع في احدى أبراج المنزل منعزله تماما عن بقية الغرف وها مداخلها الخاصة».

وأحمر وجه جيسيكا من الخجل وهي ترى أن سباستيان ألمح الى أنهما عاشقان..عاشقان..كلمة كالخنجر طعنتها في قلبهاوتصلبت عضلات جسدها إحتجاجا على كل ماقيل..فلسيا عاشقين..لأنه لايضمر لها سوى الازدراء والكراهية..شعور متبادل رغم الخليط المحير من العواطف التي اعترتها عندما طبع تلك القبلة على شفتيها..وكيف تشعر بالمتعة في الوقت الذي اعتبر تلك القبلة عنابا على تحديها له وليس حبا؟

الفصل الخامس

صحبت عمة سباستيان جيسيكا الى برج روزالندا..وصعدوا سلما حلزونيا ضيقا..وكانت الجدران تعلوها الصور والزخارف..وعند نهاية السلم فتحت العمة صوفيا احدى الابواب وأشارت الى جيسيكا بالدخول قبلها..ودهشت جيسيكا لمحتويات الغرفة وطراز بنائها..فقد كانت ذات ثمانية جدران في أحدها باب يفضي الى غرفة مجاورة على مايبدو..وتطل نافذة الغرفة على منظر ساحر يمتد حتى مدى البصر..

-«هذه أعلى غرفة في المنزل». قالت العمة صوفيا!!ولا تلائم المتزوجين..ولاتوجد فتيات في المنزل للأقامة فيها كما كان الحال في الماضي».

-«انها رائعة».قالت جيسيكا وهي تنظر حواليها..كان السجاد ذو اللون المشمشي يغطي جدرانها والارض مفروشة بسجاد من ألوان متناسقة..ويبدو أنها مؤثثة لتصبح غرفة استقبال..وفي اعلى الجدران توجد رفوف للكتب..وتخيلت جيسيكا صورة فتاة أسبانية تعيش في الغرفة وهي تجلس قرب النافذة تلعب بأوتار قيثارتها بانتظار عودة حبيبها!

وفتحت العمة صوفيا بابا اخر وقالت:

-«يوجد هنا حمام داخل غرفة النوم وهو مجهز بالماء الحار والبارد..سأتركك الان وستأتي ماريا لتساعدك في فتح حقائبك..وبالمناسبة ستتناول طعام الغداء في الساعة الواحدة».

وعندما انفردت جيسيكا بالغرفة أسرعت نحو الحمام وذهلت عندما شاهدت حوض الاستحمام مصنوعا من المرمر الابيض والمرايا تزين الجدران المكسوة بأحجار خضراء في بعض من زواياها.

www.rewity.com

وانتهت من الاستحمام على عجل وارتدت ملابسها وفكرت في حاجتها الى ملابس إضافية اذا ما مكثت هنا حسب الاتفاق مع سباستيان. وفكرت بالكتابة الى عمتها لترسل لها بعض الفساتين..ووضعت أحمر الشفاه وسرحت شعرها وتوجهت نحو السلالم وهي تشعر بالجوع يقرص أحشاءها في طريقها الى الصالة السفلى.

ولم تهتم جيسيكا بما يساور العمة من ظنون حول وجودها في المنزل لأنها من النساء الاسبانيات الكبيرات في السن اللاتي يأخذن أوامر الرجال كالقانون..ووجدت جيسيكا العمة بانتظارها وحيتها والبسمة على وجهها..واخبرتها جيسيكا برغبتها في التجول في بقية أرجاء المنزل وقالت العمة:

-«سأريك كل زواياه بنفسي لكي لاتضلي طريقك».

وتبعتها جيسيكا الى الصالة الرئيسية، المؤثثه بقطع نادرة من السجاد والاثاث الذي لايقدر بثمن..وتطل الصالة على فناء يشابه الفناء الذي تطل عليه غرفتها غير أنه أوسع قليلا ويتوسطه حوض للسباحة.

-«هذه هي ساحة المنزل الرئيسية».قالت العمة صوفيا.«غير انه توجد غيرها في الجانب الاخر من المنزل فكما تعلمين ان العائلة عريقة وكانوا في القديم يعزلون النساء عن الرجال..ولكل فرد من العائلة فناء خاص بغرفته...».

-«من الممتع أن يسترجع المرء تاريخ العائلة العريق اذا..». اقترحت جيسيكا على العمة وعندها تذكرت ماقاله رامون فيريز عما جرى لأول عروسة في عائلة كالفادورس.

- «احيانا.. لايكون البوح باسرار العائلة للاخرين مسليا.».

أجابت العمة

-«ولكن أول رجل من كالفادورس كان من فرسان بيدرو الرهيب أليس كذلك؟»تساءلت جيسيكا.

-«إذا لقد سمعت عن تلك الرواية ؟»إبتسمت العمة وأضافت.«نعم..لقد تزوج روزالندا. ابنة غريمه - وشيد هذا البرج لها».

رغبت جيسيكا في الاستماع الى المزيد من تلك الرواية ولكنها لم تود الكشف عن فضولها ولهفتها وتذكرت ماقاله رامون فيريز عن تلك الفتاة التي إدعت أن عدو أباها قد اغتصبها ثم تزوجها الرجل ليمنع الفضيحة والعار..

وفجأة سمعتا صوت طفلة من خلفهما.

- «هاانت هنا. لقد طلب العم سباستيان البحث عنك».

-«ليزا! تذكري ان لدينا ضيفة».

استدارت الطفلة نحو جيسيكا وهي ترمقها بنظرة.. وقالت العمة بالانكليزية:

- «انها طائشة.. وتتلهف لمجيء سباستيان. تعالي ياليزا وتعرفي بالآنسة جيمس التي ستعمل مع سباستيان».

كانت ليزا طفلة ذات شعر داكن اللون وحاجبين كثيفين وعينين واسعتين..ودنت من جيسيكا وقالت:

-«أظن أن العم سباستيان لن يكون مشغولا هذا اليوم أليس كذلك؟»

-«كلا». أجاب سباستيان الذي دخل الغرفة خلسة دون أن تشعر به جيسيكا.«لقد جئت لأراك ياعزيزتي.»

-«اذا لديك متسع من الوقت لركوب الخيل سوية!»قالت ليزا.«أرجوك

www.rewity.com

ياعم سباستيان»لايسمح لي أحد بركوب الخيل سواك.».

-«سنرى بعد الانتهاء من طعام الغداء».

قال سباستيان :«قبل كل شيء ستخبرني عمتك عن تصرفاتك طيلة فترة غيابي عنك».

وأسرعت الطفلة نحو عمها الذي اخذها بين ذراعيه وضمها الى صدره بكل حنان وتمنت جيسيكا أن تحل محلها لتشعر بالدفء بين ذراعيه..غير أن حلمها قد تبدد حين أفاقت وأدركت أنها في بلاد غريبة وبعيدة عن أهلها وأصدقائها..

-«لقد أفسدها سباستيان». قالت العمة صوفيا وهي في طريقها مع جيسيكا الى خارج الغرفة.«غير أننا نفهم السبب في هذه الظروف فهي تشبه الى حد كبير أمها و..»وتوقفت عن الكلام وكأنما أحست أنها تمادت بالحديث ولفتت نظر جيسيكا الى باب يؤدي الى غرفة اخرى في الصالة.

-«هذا مكتب سباستيان.سيريك الغرفة دون شك».

كانت غرفة الطعام واسعة تتدلى منها مصابيح الكريستال البراقة وتتوسطها منصدة من خشب الصاج الداكن اللون.

-«لنبدأ ببعض المقبلات». قال سباستيان مخاطبا جيسيكا وهو يقدم لها قدحا من النبيذ.«انه مصنوع من كروم مزارعنا».

كانت جيسيكا تشعر بالجوع سيما وانها لم تتناول فطورها ولم ترغب في تناول النبيذ ومعدتها خاوية..غير أنها لم ترفض القدح الذي قدمه سباستيان وارتشفت منه قليلا وأحست بحرارته في حنجرتها وحاولت ترك المتبقي غير أن سباستيان قال:

-«يبدو أن نبيذنا لم يرق لك!»

ودون تردد رفعت جيسيكا الكأس وارتشفته مرة واحدة وتمنت لو أنها لم تفعل ذلك فقد بدأ الدوار يلف رأسها.

وأشار سباستيان اليها بالجلوس على احد المقاعد قرب المنصدة..واتجهت جيسيكا نحوه دون أن تتمالك السيطرة على توازنها..فترنحت وأمسكت بذراع سباستيان لئلا تقع على الارض..وسمعته يشتمها بهمس واعتذرت قائلة:

-«لم أتناول فطوري لحد الان و..»

-«قد يضرك النبيذ اذا كنت غير معتادة عليه»قالت العمة.«سباستيان..أنت المخطىء فقد أصررت على أن تشربه مرة واحدة..وعلى أية حال ستكونين بخير بعد قليل ياعزيزتي».

واحمرت جيسيكا خجلا من الانطباع الذي تركته عند الجميع واستطاعت أن ترى السخرية في عيني سباستيان حين مال برأسه نحوها وقال:

-«انك تتمسكين بذراعي كما تتمسك الحمامة بالغصن الذي يحميها من السقوط ولكن لعبتك لن تنطلي علي.. فقد روى لي جورج نزهاتكم سوية على الشاطئ وتناولكم أقوى انواع الخمور..فلا تتوقعي مني أن أصدق أن قدح نبيذ واحد يصرعك؟»

ماذا يعني؟

-«واذا ظننت أن اي رجل يملأ الفراغ في سريرك وانك أخترت أن أملأه بنفسي فانت على وهم كبير..وكما أخبرتك قبلا فلي مزاج خاص في انتقاء النساء..».

www.rewayti.net

-«ماذا تقول ياعمي؟» سألت ليزا بشيء من الفضول«ماذا تقول الأنسة جيمس فهي تبدو شاحبة..».

وأمرتها العمة بالصمت حين انسحبت جيسيكا وتهالكت على أحد المقاعد ..فما الذي ستظنه العم صوفيا؟ ولكنها اعتادت على طبائع ابن أخيها؟ وهل تتحاشى التدخل في شؤونه رغماً عنها؟ ولكن كيف تستطيع جيسيكا تصحيح هذا الانطباع عنها وكيف ستخبر العمة أنها ليست عشيقته؟ ان الأمر يبدو مستحيلاً. وبعد تناول طعام الغذاء صحبها سباستيان في جولة حول المختبر.. وتوسلت اليه ليزا قائلة :«هل تصحبوني معكم؟ أعدكم أن أكون فتاة لطيفة مطيعة.».

-«هل تمانعين؟» تمتم سباستيان في أذن جيسيكا التي رحبت بالفكرة.. في الواقع يسرّها مجيء ليزا معها لكي تخفف من توتر العلاقة بينهما.

يقع المختبر خلف المنزل حيث توجد اصطبلات الخيل في السابق وجرى تحويرها الى كراج السيارات والمختبر.

كان الباب موصداً وعليه قفل كبير.. وقال سباستيان ان السبب هو وجود الاصباغ والمواد الاخرى التي لايسمح لأحد بمشاهدتها.

-«في الوقت الحاضر نعمل على تحضير نوع جديد من الأصباغ مشتقة من مواد طبيعية عبر أن مشكلتنا مازالت قائمة لإننا لم نعثر على مادة مثبتة لها، ولو أن الأمر لن يستغرق طويلاً.».

-«أنتم الشركة الوحيدة التي تستعمل أصباغ طبيعية» قالت جيسيكا.«وأنه لأمر نادر حقاً ولهذا فأنتم تضاهون بقية الشركات».

- «بالطبع». هز سباستيان رأسه موافقاً. «لذلك فأن الاصباغ والمثبتات تعتبر من اسرار المهنة وأنا الشخص الوحيد في الشركة الذي يمتلك طريقة

التركيب الكيمياوية.. فهي لا تقدر بثمن!».

وأدركت جيسيكا الحيطة والسرية في العمل سبب نجاح شركته عالمياً.. وكان المختبر كامل التجهيز، وكانت تصغي الى تفاصيل العمل رغم أن اهتمامها الأول لم يكن في الاصباغ بل في تصميم الأقمشة.

وأخرج سباستيان ملفاً من درج المكتب يحتوي على عدد من النماذج للتصاميم الجديدة وقال:

-«هذه بعض الألوان التي نأمل انتاجها للموسم القادم، وكما تعلمين فان مجلس الألوان في المدينة يوافق عليها قبل سنتين أو ثلاثة من الانتاج.. وها هي الألوان التي وافق عليها المجلس في اجتماعه الأخير.. وما علينا سوى إدخالها في تصاميمنا.. وأريدك أن تقدمي لي بعض المقترحات بشأنها.».

وأومأت جيسيكا برأسها والرغبة في العمل تثيرها.. فقد سال لعابها عندما شاهدت الألوان خاصة وأنها مخصصة لموسمي الخريف والشتاء المقبلين.. الأسود الفاحم والرمادي إضافة الى الأزرق الفاتح والمتموج.

-«يوسعك العمل هنا..» قال سباستيان. «أو في غرفتك الخاصة في البرج».

-«قلت انك ستأخذني لركوب الخيل.. لقد وعدتني». قالت ليزا وهي تجر سباستيان من ذراعه.

-«هل نسيت أن لدينا ضيفة ومن غير اللائق أن نذهب دون الطلب اليها بمرافقتنا؟».

واعتذرت جيسيكا مبتسمة وقالت:

-«علي دراسة هذه الاوراق في غرفتي.. وأتمنى لكما وقتاً ممتعاً في ركوب الخيل».

www.rewity.com

لم تذهب جيسيكا الى غرفتها مباشرة فقد جذبت نفسها في الفناء الواسع الذي تطل عليه غرفتها حيث الأزهار المتسلقة وبعض الطيور التي ترتشف من البركة في وسط الفناء.. وبدا المكان وكأنه عش للعشاق وخيّل اليها أن روز الندا وعشيقها التقيا في هذا المكان وتبادلا الحب هنا.

وعند عودتها الى المنزل وجدت العمة صوفيا في الصالة.

-«ذهب سباستيان وليزا لركوب الخيل». قالت جيسيكا. «ان ليزا فتاة مسلّية».

-«عندما يخلو لها ذلك فقط». أجابت العمة. «فالعم سباستيان يدلّلها كثيراً.. ولم لا وهو بالنسبة لها كل ما تملك!».

-«اذاً هي يتيمة، أليس كذلك؟».

-«نعم. وسباستيان وصي عليها، وسيكون الأمر صعباً عندما يتزوج ويرزق بأطفال».

-«ولكن زوجته ستفهم الحالة وتقبل بوجود ليزا معها». قالت جيسيكا.

وابتسمت العمة قائلة: «ذلك ما نأمله، غير أن كل شيء يعتمد على المرأة التي سيتزوجها سباستيان.. فقد كان متزوجاً الا أنها توفيت في حادثة سيارة مروع، فقد حصل ذلك قبل وقت طويل وهو أمر منسي الآن».

قالت العمة وهي تتنهد من الحزن.

وقبل المساء عاد سباستيان وليزا الى المنزل، وكانت جيسيكا في غرفتها منهمكة في التصاميم.. ودخلت عليها احدى الخادمات وأخبرتها أن العادة في المنزل أن يتناول الجميع في مثل هذا الوقت النبيذ وحلوى الظهر في الصالة الرئيسية.

وأضافت أن العمة في أنتظارها في الصالة الرئيسية.

نزلت جيسيكا الى الطابق الأرضي حيث وجدت سباستيان مع ليزا

والعمة صوفيا إضافة الى أمرأة أخرى في مقتبل الثلاثينات طويلة القامة ذات شعر داكن اللون.. ألقت نظرة ملؤها الشك والريبة على جيسيكا وتذكرت جيسيكا أنها نفس السيدة التي كانت بصحبة سباستيان في الفندق في اشبيلية.. فمن عساها تكون؟

-«أهلاً بك ياجيسيكا..اسمحي لي ياعزيزتي أن أقدم لك الانسة جيمس».

قال سباستيان محدثاً ضيفته «لقد قدمت الى هنا للعمل لحسابي لبضعة أسابيع».

-«أرجو أن تدرك أنها محظوظة». قالت السيدة بنبرة لاذعة.

-«جيسيكا...أقدم لك بلار سانشير.. صديقة وجارة عزيزة علينا».

-«مجرد صديقة عزيزة!» قالت بلار، وهي ترمق جيسيكا بنظرة أخرى. «هيا ياعزيزي.. فلو بقيت مانولا على قيد الحياة لأصبحنا أخاً وأختاً».

.ووضعت يدها بيد سباستيان بصورة مثيرة وهي تلقي عليه نظرة بعيدة كل البعد عن أية علاقة أخوية.. وشعرت جيسيكا بالغثيان وتسألت: «هل هي عشيقته؟ ربما أن شقيقتها كانت خطيبته.. فلو أراد الزواج بعد وفاة خطيبته لتزوجها.. ولكن يبدو أن في الأمر سراً».. ولم تكن جيسيكا ملمة بتقاليدهم وطباعهم..

وصاحت بلار موجهة كلامها الى ليزا: «إحذري ياليزا...أ أبعدي أصابعك عن فستاني .....فستلوثينه بيديك!».

واحمر وجة ليزا ونظرت الى عمها الذي بدا عليه الغضب والتفت الى العمة صوفيا التي قالت:

-«حسنٌ ياليزا.. اذهبي وابحثي عن ماريا لتأخذك الى غرفتك فقد حان

www.rewity.com

وقت الراحة».

- «بصراحة ياسباستيان ان الطفلة أصبحت لا تطاق». قالت بلار بحدّة عندما غادرت ليزا الصالة. «عليك أن ترسلها الى دير لتتعلم الطاعة».

-«كما فعلت مانولا؟» رد سباستيان بسخرية دون أن تفهم جيسيكا قصده ولم تستطع تفسير نظراته للعمة أو سبب رعشتها المفاجئة.

أنتظرت جيسيكا لحين الانتهاء من العشاء لكي يطلع سباستيان على ما أنجزته من أعمال خلال اليوم.. ولدهشتها لم ينتقد سباستيان النماذج التي قدمتها كما توقعت، بل أخرج لها بعض النماذج التي أنجزها بنفسه وقال: «في بادىء الأمر لم أرغب باعطائك بعض المبادىء عن العمل وما أنجزناه سوية يظهر أن لك أهتماماً خاصة بالاقمشة والتصاميم.. وسنقضي صباح الغد في مكتبي لنناقش بعض النماذج الجديدة.. هل أعجبك البرج؟».

-«نعم ولا أدري ان كانت روزالندا معجبة به أيضاً وهل كانت سعيدة فيه؟»

فقاطعها سباستيان:

-«دون أن يشاركها زوجها؟ هذا صحيح.. فقد أقامت في البرج في أول الأمر... ولابد أنك سمعت الرواية وعرفت كيف أنها إتهمت زوجها باغوائها وهو يعلم أنها المخطئة.. فقد تزوجها ليحمي سمعته وأقسم على أن يبقى عازباً طيلة حياته على ان يلمس المرأة التي وهبت نفسها لغيره.. فلربما تغيرت الأمور لو أن روزالندا اعترفت بكذبتها لأبيها بدل التستر على علاقتها مع رجل آخر لمجرد أنها تحب رودريغز وأرادته زوجاً لها.. وهي تعلم أن ذلك الامر مستحيلاً بسبب العداوة بين العائلتين.. لذلك

اختلقت الرواية وهي تعلم بكبرياء كل من رودريغز ووالدها.. وخططت على أن تتهم رودريغز باغتصابها لترغمه على تعويض فعلته... لقد كانت خطة جريئة أقدمت عليها روزالندا.. نعم فقد كانت جريئة وجميلة.. ولم يقاوم رودريغز دموعها حين اخبرته أنها لم تزل عذراء..».

-«اذاً لقد لقد خدعته بالزواج منها.. كما تتهمني أنت بخداع جورج».

-«أن القضيتين مختلفتان تماماً». قال سباستيان بغضب. «كان دافعها الحب والذي له مايبرره، أما أنت فقد دفعك الجشع والذي لايمكن غفرانه».

ولم تفهم جيسيكا سبب خصامهما كلما تحدثا في أمر ما.. وتناولت النماذج لتجمعها.. وحينذاك قال سباستيان.«تبدين شاحبة؟ فقد اخبرتني العمة صوفيا انك اشتغلت طيلة النهار وحتى المساء!».

-«لقد كنت مشغولاً مع ضيوفك إضافة الى أني أحب عملي». ردت عليه جيسيكا دون أن تذكره أن بلار لم تحبذ اشتغالها معه.

-«لابد وان تلمي بعض التمارين الرياضيه، هل تركبين الخيول؟».

هزت جيسيكا رأسها بالنفي.

-«أمر مؤسف حقاً. والاّ لرافقتي ليزا عندما نذهب سوية لركوب الخيل صباحاً».

-«أعرف السباحة والمشي... والمهم أن أنجز عملي بأسرع وقت ثم أغادركم».

وازعجته عبارتها الاخيرة والتفت اليها ببطء. وهي تراقب حركاته بحذر وقال:

-«جيسيكا...».

www.rewity.com

وابتعد عنها فجأة حين اندفع الى الصالة شاب ذو شعر داكن اللون وتصلب في مكانه حين شاهد جيسيكا.

-«جورج!» صاح سباستيان مندهشاً. «يالهي! ماذا تفعل هنا؟».

إذاً هذا هو جورج.. شقيق سباستيان.. ويبدو أنه دهش لسلوك سباستيان.. فألقى نظرة عليه وأخرى على جيسيكا..

-«أريد أن أحدثك» قال جورج مرتبكاً. «ولم أعلم بعودتك لأنك لم تخبرني حين تحدثنا بالتلفون».

-«ربما كان ذلك صحيحاً لأني لم أتوقع أن تكون زيارتك لعائلة ريجون قصيرة فقد ظننت انك ستمكث عندهم لمدة شهر على الاقل». قال سباستيان.

شعرت جيسيكا بالأسى عندما شاهدت جورج يحمر خجلاً وبدا عليه الاحراج وقال: «وهذا سبب آخر دعاني لرؤيتك فأنا...».

وقطع حديثه وتردد في اكمال عبارته حين نظر الى جيسيكا وأردف قائلاً:

-«عندك ضيفة.. جميلة جداً.. فهل ستقدمني اليها؟».

صعق سباستيان لهذا الطلب..والتفت الى جيسيكا التي غرقت في أعماق المعاني التي تحملها نظراته..

-«ظننت انكما متعارفان». قال سباستيان ببرود. «متعارفان بحيث طلبت مني إزالتها من حياتك».

وأحست جيسيكا بحيرة جورج وبادرت الى انقاذ الموقف قائلة:

-«أنا ابنة عمة ايزابيل..فقد حصل سوء فهم وظن شقيقك اني ايزابيل..وعندما علمت بنيته نحوها، فضلت عدم البوح بالحقيقة..لأن ايزابيل حساسة جدا رغم مساوئها العديدة.»

لم تكن تنوي البوح بالعديد من التفاصيل..فقد وقع الخبر كالصاعقة على جورج الذي أدار عينيه الزائغتين نحو شقيقه وقال:

-«نعم، غير اني لم أعلم بمجيئها شخصيا أو كما ظننت... وبطبيعة الحال كان هدفي الأول حمايتك منها..».

-«وهذا سوء فهم آخر من جانبك». قالت جيسيكا بمرارة «ان ايزابيل لم تكشف لي الحقيقة كاملة..فقد خشيت ذهابك اليها في بريطانيا.. فقد تمت خطوبتها الى رجل اخر..ومن الطبيعي أن»وبدأت تتخبط في محاولة منها للدفاع عن ابنة عمها وتصحيح مافعلته حين قاطعها قائلا:

«هل تعنين ان ابنة عمك كذبت عليك؟»

-«رغما عنها..لم تود أن تترك الرسالة اثرا على جورج.. وكانت قلقة ويائسة حينذاك..وطلبت مني أن اخبر جورج بانتهاء علاقتهما..».

-«إذا كنت تعلمين أني مخطىء وعاملتك على انك ايزابيل..فلماذا لم تكشفي الحقيقة وقتئذ»سأل سباستيان والدهشة تغمره وهو ينتظر جوابا شافيا منها.

-«لم أرغب في تعريض ايزابيل الى سيل الاهانات التي أرغمت على تقبلها وتحملتها بدلا عنها..كما تدافع أنت عن شقيقتك..لم أبغ سوى حمايتها!»

-«ستتحدث عن ذلك فيما بعد»قال سباستيان «اما الان..»

-«لابد انك تريد التحدث مع شقيقك على انفراد».. قالت جيسيكا وهي تشعر بالسعادة لمغادرتهما.

ان ظهور جورج بهذه الصورة المفاجئة اذهلها..ذلك أن سباستيان الذي علم بالحقيقة الان قد يجد نفسه مضطرا للسماح لها بالعودة الى بريطانيا وهذا أمر لاتريده جيسيكا الان.

www.rewity.com

(الفصل السادس)

-«هل تسمحين لي بالجلوس معك؟»

نظرت جيسيكا الى جورج وابتسمت موافقة..فقد كانت تقوم بانجاز بعض النماذج في الشمس الدافئة..

-«ان سباستيان مشغول في المختبر»..قال جورج وكأنه يريد أن يضيف شيئا وأخيرا قال: «اعتذر عما بدر عن شقيقي..فليس من حقه توريطك في هذه المشكلة..فقد روى لي كل ماجرى بينكما..ولكن لماذا دعاك للعمل معه هنا؟»

كان جورج حائرا..وقال«تحدثت مع العمة صوفيا هذا الصباح وتظن..أن سباستيان قد المح ..أنه..أنك عشيقته..وهذا غير صحيح بالطبع..وسأتحدث اليه عن الموضوع نيابة عنك..فقد أخبرتني ايزابيل عنك وأعلم أنك لست عشيقته ولست..».

-«لست من هذا الطراز أليس كذلك» قالت جيسيكا.

-«بالضبط.» رد جورج. «فان سباستيان لايعلم شيئا عما تظنه عمتي ولايريد تلطيخ سمعتك بهذه الاهانات».

دهشت جيسيكا لحديثه رغم جديته خاصة عندما قال:

-«سأتحدث معه حول الموضوع..فهذا ليس عدلا»

كان الأمر سيبان عند جيسيكا التي شكت في أن يكون لجورج تأثيراً على شقيقه.

غادر جورج المكان وبقيت جيسيكا تقلب الاوراق أمامها حين سمعت وقع خطوات تقترب منها..ودهشت حين شاهدت بلار تتجه

نحوها ووجهها مقطب ومتجهم وهمست في اذنها: «انك تضيعين وقتك سدى..لايريدك سباستيان هنا..فلم يحب سوى امرأة واحدة وهي شقيقتي و..» حاولت جيسيكا مقاطعتها او على الاقل تطمينها بعدم وجود أية علاقة حب بينها وبين سباستيان غير انها أحست بخطر هذه المرأة والغرض من حديثها الذي كان هستيريا.

-«كان متيماً بها»أضافت بلار متجاهلة وجود جيسيكا.«وربما سيأتي اليوم الذي سيتزوج فيه..وهل توجد أفضل من شقيقة المرأة التي أحبها؟»

-«بالتأكيد..»قالت جيسيكا غير أن بلار قاطعتها مرة اخرى.

-«أنت تفكرين بالطفلة ليزا..ولكنها مجرد بنت، وسباستيان يحتاج الى حبي»اذاً ليزا هي ابنة سباستيان.. ذهلت جيسيكا للنبأ وإشتاطت غضبا لانه شكك في أخلاقها وسلوكها وهو الذي...

-«ألم تعلمي بالأمر؟» تساءلت بلار بسخرية. «من المؤكد أنه لم يخبرك بالحقيقة فالامر سر..فقد كانت شقيقتي مانويلا خطيبته لبضعة شهور فقط وكانت الأستعدادات جارية لاتمام الزواج عندما سقطت طريحة الفراش بصورة مفاجئة وقال الطبيب أنها مرهقة وقنا بأرسالها الى الأرجنتين لقضاء بعض الوقت مع اقاربنا هناك وعند عودتها علمنا أنها حامل من سباستيان وكان الخبر مؤلما لأبي وأمي..فالرجل الذي اعتبراه ابنا لها ومنحاه الثقة قد سلب مانويلا براءتها قبل الزواج وهذا فقد عجلوا بترتيبات الزواج وطلبت أمي من مانويلا أن تكشف لها الحقيقة...وكنت متزوجة حينذاك...وصعقت لما فعله سباستيان غير اني أعلم بمقدار حبه لها..وقبل يومين من عقد القران طلبت مانويلا ان اعيرها سيارتي..».وتنهدت بلار وأطرقت برأسها والحشرجة في صوتها

www.rewity.com

وقالت: «وقع حادث لها قرب أشبيلية ونقلت الى المستشفى..وتمكنوا من انقاذ الطفلة فقط؛ وعند وصول سباستيان كانت قد فارقت الحياة».

لم يكن بوسع جيسيكا إخفاء شعورها نحو مانويلا المسكينة..فرغم كل ماحصل فقد كانت بريئة وفي مقتبل حياتها..والان يطويها التراب ولم يبق لسباستيان سوى الذكريات..والطفله..إبنته..ولكن لماذا قدمها لها على انه وصي عليها؟.

-«وبالطبع جرى كل شيء بالكتمان». أضافت بلار.«ولم يعلم بظروف الولادة سوى أفراد العائلة».

وتذكرت جيسيكا مقدار كره بلار للطفلة التي لم تكن سوى ابنة شقيقتها!

-«ان ليزا تذكر سباستيان بشقيقتي».قالت بلار وهي تلوي شفتيها.

وأحست جيسيكا بالغيرة التي تشعر بلار تجاه ليزا.

-«كان عام المصائب لعائلتنا». أضافت بلار.«في باديء الأمر مانويلا ثم زوجي وأمي وأبي حيث لقيا مصرعهما عندما صحبهما زوجي في طائرته الخاصة الى مونوركا..غير أن أسوأ ما في الامر – ليزا.فلو قدر لشقيقتي الحياة لأمضت حياتها مع خطيبتها!»

لم تصدق جيسيكا اذنيها..فان بلار تضمر ثأرا في اعماقها..وماذا عن سباستيان فهو بالتأكيد يتحمل جزءا من اللوم – اذ صحت العبارة – أما المسكينة ليزا فلا تعلم أن سباستيان والدها..وهنا شعرت جيسيكا بالسخط على سباستيان لأنه يحرم طفلته من حنان الأب..فقد قالت بلار أنه أحب مانويلا غير ان جيسيكا تعتقد أن هذا النوع من الحب خال من كل صفة إنسانية.

كانت جيسيكا ماتزال تتحدث مع بلار عندما طلب سباستيان الانفراد بشقيقه جورج..وإقتربت ليزا من جيسيكا وقالت «سأكون فتاة مطيعة». وكانت العمة صوفيا مشغولة مع ضيوفها وأحست جيسيكا أن ليزا تريد مرافقتها واقترحت عليهاأن تتجولان في المنزل وما يجاوره..

تحب جيسيكا الأطفال كثيرا..ولهذا فقد تمتعت بصحبة ليزا وشعرت بالاسى نحوها عندما اخبرتها ليزا بتعاستها احيانا عندما تكون لوحدهاوقالت بخوف:

-«تريد بلار أن تبعدني عن المنزل غير أن العم سباستيان لن يسمح لها بذلك».

وعند عودتهما في المساء كانت العمة صوفيا مع ضيوفها وجلست ليزا بكل أدب تصغي الى اسئلتهم وتجيب عليها بهدوء وأدب.

ولاحظت جيسيكا أنها كانت محور حديث الضيوف واستفساراتهم.

-«إن جيسيكا صديقة خاصة لسباستيان». قالت العمة صوفيا.

-«غير أني علمت انها جاءت للعمل معه فقط»قالت إحداهن ببرود..وهي عمة بلار..ولم يكن سؤالها غير متوقع ابدا.

-«ألم تعترض العائلة على وجودها بينكم؟»سألت عمة بلار.«في أسبانيا لا يسمح لفتاة شابة أن تقيم في منزل رجل اعزب دون أن ترافقها إحدى قريباتها!».

-«اني هنا للعمل فقط».ردت جيسيكا ببرود وهي واثقة أن الضيوف يظنوها عشيقة سباستيان.. ثم ماذا؟! غير ان نظراتهن أشعرتها بالاحراج وربما سيتحدثن عنها بعدما تغيب عنهن.

وصعدت جيسيكا الى البرج لتناول قسطاً من الراحة بعد أن غادر

www.rewity.com

الضيوف المنزل..وجمعت النماذج التي أكملتها وهبطت الى غرفة سباستيان لتعرضها عليه..وعند الباب سمعت أشخاصا يتحدثون وميزت من بينهم صوت جورج وهو يدافع عن نفسه بقوة..وفضلت الانتظار واستدارت لتعود حين شاهدت رافائيل كبير الخدم يتجه نحو الباب واستدركت قائلة:

-«أود التحدث مع الكونت ولكن..».

-«سأخبره بذلك عندما يفرغ من عمله». أجاب رافائيل.«هل تريدين قدحا من الشاي؟فان غالبية ضيوفنا الانجليز يفضلون الشاي في مثل هذا الوقت».

دنت الساعة من السادسة مساء ومازال أمام جيسيكا متسع من الوقت لتناول العشاء..فالاسبان يتناولون العشاء في ساعة متأخرة لذلك طلبت منه أن يجلب لها قدحا من الشاي.

وبعد حوالي عشرين دقيقة عاد رفائيل بالشاي مع قطعة من الكيك..وأحست جيسيكا عندها بالجوع..وحال انتهائها من شرب الشاي سمعت طرقا خفيفا على الباب وقبل أن تفتحه حدست أنه سباستيان.

دخل سباستيان الغرفة وارتسمت على وجهه علامات القلق والأضطراب، وفضلت عدم البحث معه في النماذج وفضلت تأجيل الموضوع.

وأحست برعشة عندما أوصد الباب واستدار نحوها قائلا:

-«ربما حان الوقت لتخبريني سبب اخفائك حقيقة شخصيتك». وإتكأ على الباب ضاما ذراعيه الى صدره بانتظار الرد.

-«لقد أخبرتك أني أردت حماية ايزابيلا»قالت جيسيكا بارتباك.

-«حمايتها أم حماية خطوبتها؟فقد أخبرني جورج بالمدعو جون..إذ ربما كانت تفكر بالزواج منه عندما قابلت جورج..».

-«حقا؟اذا لماذا تهدده بأنها حامل؟».

-«مجرد خطأ». ردت جيسيكا.«ولابد وان تقدر موقفها انذاك..فعند عودتها من الاجازة ظنت أنها حامل وهذا ما أفزعها..».

-«لذلك حاولت ارغامه على الزواج منها». قال سباستيان.«وهذه هي الطفلة البريئة التي تحاولين الدفاع عنها..كلا..لايمكنني قبول هذا العذر».

لم تشأ جيسيكا اخباره أن ايزابيل كذبت عليها بل بادرت قائلة:

-«كل ماأريده الان هو تناسي الموضوع تماما».

لم تكن تلك الحقيقة..فما زالت بعض جوانب الموضوع تلاحقها دائما وكانت تخشى ان شعورها نحو سباستيان قد يتحول الى حب..فقد بدأت تشعر في الايام الأخيرة أنها لاتطيق الأبتعاد عنه..ولم تعلم مبررات ذلك الشعور..اذ كان عليها أن تسجل عدد ضربات قلبها التي تزداد كلما نظرت اليه أو كلما دخل غرفتهارغم أنه يناقض كل مانتمناه في الرجال..فهو متكبر ومهيمن ولايبدو قادرا على تحمل المسؤولية.

-«مجرد كلام!». قال سباستيان مقطبا حاجبيه واتجه نحو النافذه.«وكما ألمح لي جورج وعمتي والاخرون..فالجميع يظنون انك عشيقتي!».

وصمت منتظرا رد فعلها على عبارته الأخيرة وحرصت جيسيكا على عدم توفر الافصاح بالمرارة التي سببتها تلك العبارة وقالت:

-«ولكننا نعلم أن الإمر ليس صحيحا بالاضافة الى ذلك فانا لااهتم برأي

www.rewity.com

أناس غرباء لن أراهم مرة ثانية».—«أعلم ذلك». رد سباستيان.«ولسوء الحظ فانا سأراهم مرة ثانية ولهذا فالامر يقلقني..لأنه سيمس إسم العائلة وسمعتها».

—«صحيح..ولابد ان سمعة عائلة من عائلتك تكون عبئا ثقيلا على رجل ذي كبرياء مثلك».

وأدركت أنها تمادت في حديثها حين أحست بأصابعه كالمخلب تشدها من رسغها وقال: «ماذا تعنين بقولك؟»

—«أظن انك تعلم جيدا مأقصد..فهناك ليزا..ثم ان عيون الناس ليست مغمضة».

—«إذاً أخبرك أحدهم عن مانويلا»رد سباستيان وقد التوت شفتاه ببسمة ساخرة.«أنت على حق، فقصة ليزا على كل الألسن لذلك على أن اكون حذرا جدا من اجلها ومن اجلي»

—«لاأفهم لماذا تخفي الحقيقة عنها..انه أمر قاسي..وستعلم بالامر اجلا ام عاجلا».

—«أنت مهتمة بها كثيرا!»

—«لأنني أميل اليها..وأشعر بمرارة فقدان الابوين اذ لايعوضها شيء أبدا ثم أنت تحرمها من حقها في ان يكون لها أب».

—«كفى!». صرخ سباستيان محتجا مما جعلها ترتعد وقال «لن اسمع المزيد..إخرسي».

—«وكيف سترغمني على ذلك؟هل سترميني في غياهب الأبنية؟»

—«كلا». اجاب سباستيان وهو يلقي عليها نظرة اثارت فيها الهلع واقشعرت بشرتها..اذ اندفع نحوها فجأة وأمسك بها من خصرها وشدت يده

الاخرى شعرها وسحبها نحوه بكل قوة بحيث شعرت بالتواء في ظهرها وتأوهت من الالم وقال لها: «لقد حانت ساعة العقاب».

واقتربت شفتاه منها وأحست بأصابعه تؤلمها وهي ترى نار الغضب تتطاير من عينيه المحملقتين..وكانت قبلة جعلتها تشعر بالذل والغثيان وهي تستسلم لرغباته..غير أنها شعرت أن غضبه زال وأصبح اكثر رقة ودفئا وشعرت بقوة كبيرة تدفعها الى طاعته والتسليم له رغم أنها أرادت الاحتجاج والرفض..ولكن الاحساس الغريب الذي سرى في جسدها جعلها تنسى كل شيء من حولها ولم تحاول المقاومة بل دعته الى فرض سيطرته عليها كليا..وحملها بين ذراعيه الى مخدعه وهو يداعبها ويقبلها..واعترفت له بحبها ورغبتها الجامحة في ان تكون له. وعلى حين غرة فتحت العمة صوفيا الباب عليهما وكانت بلار خلفها وجحظت عيناهما للمشهد الذي شاهدتاه.

—«لقد قلت انك مخطئة». قالت بلار بعصبية.«لقد قلت لك أنها عشيقته».

كان سباستيان يخفي جيسيكا وراء ظهره وهي نصف عارية..غير أن ذلك لم يزل عنها العار الذي لطخها وهي ترى العمة صوفيا وبلار تحملقان فيها.

—«سباستيان» قالت العمة مؤنبة. «لقد جرحت كرامتي بأن حولت المنزل الى..».

—«كفى». صرخ سباستيان بوجههما«تفضلا وانتظرا في غرفة الجلوس فلدي مأقوله لكما».

وبعد مغادرتهما إستدار نحو جيسيكا التي كانت تحتمي وراءه من

www.rewity.com

هول الصدمة وقال:

«ارجوا المعذرة لماحصل..فلم أظن أن...».

-«أن ماذا؟»

-«لابد أن أتحدث مع عمتي الان...»قال سباستيان وهو يغادر الغرفة تاركا جيسيكا تعيش ألم الندم لأستسلامها له بهذه السهولة..إذ كيف ستواجه العمة وبلار؟

وإحتقرت نفسها لأنها أصبحت كالدمية التي لادور لها سوى إشباع حاجات صاحبها دون الالتفات الى مشاعرها بل الى احتقارها.

-«هل تسمحين لنا بشيء من وقتك ياجيسيكا». قال سباستيان «والا فسأخرجك من الغرفة بالقوة».

-«ماذا ستقول لها؟»تساءلت جيسيكا وهي تنظر في المرآة قبل أن تستجمع شجاعتها وتخرج الى حيث كانوا يجلسون..ونظرت اليها العمة صوفيا نظرة عطف واسى..أما بلار فقد رمقتها بعيون ملؤها الحسد والحقد.

-«هل تعني أن المسألة لاتتعدى كونها نزوة؟»سألت العمة.

-«الأمر متروك لي وحدي»رد عليها سباستيان بحيرة والتفت الى جيسيكا محاولا التلميح اليها بالقبول وقال.«لقد اخبرت عمتي وبلار توا بنيتنا في الزواج وكما قال جورج وبلار فانا المسؤول عن تلطيخ سمعة فتاة في السابق لذلك فلن أجلب العار لعائلة كالفادورس مرة ثانية»

-«ولكن..كيف تنادى اكثر ياسباستيان؟»قالت بلار محتجة«الاداع لذلك..أطرد الفتاة وستنسى كل شيء»..

-«كلا».ردت العمة بقوة.«ان سباستيان على حق..لاتحاولي تغيير رأيه يابلار».واستدارت نحو جيسيكا وقالت:

-«نحن مسرورون بقبولك في عائلتنا».وأمسكت بيدها وقبلتها بلطف وأضافت.

-«هلم بنا يابلار..حان وقت مغادرتنا..سباستيان، أرجو اخباري بالترتيبات اللازمة التي تنوي القيام بها..».

-«من المؤكد انه ينوي اكمال مراسم الزواج بسرية وبسرعة»قالت بلار بسخرية.«فلا يريد أن تلد عروسه قبل أن يتزوجها رسميا!»

-«كفى».صرخ سباستيان بوجه بلار التي لم تصمت بل أضافت موجهة كلامها الى جيسيكا.«قد يتزوجك..وستتذكرين دوما سبب زواجه منك..فهل ستطيقين الحياة معه بعد ذلك؟»

أغلق سباستيان الباب بعد أن غادرت السيدتان، وحينها أحست جيسيكا أن بلار على حق..بالطبع لن تستطيع الزواج منه رغم اعترافه لها بحبه..طالما أن للعائله تاريخ طويل في الزيجات التي لاأمل في نجاحها..وغرقت في بحر من الأفكار المتضاربة والحيرة..وحال عودة سباستيان الى الغرفة بادرت قائلة:

-«لاداعي للزواج..فبوسعي أن أرحل..»

-«وتجعلين الجميع يتحدثون عن رجل اخر في عائلة كالفادورس خان سمعة العائلة..كلا اذ لا أصدق أن يكون زواجنا كربها الى هذه الدرجة..فنحن متناسبان وعلى الاقل لن نمل العيش أو النوم سوية..سأكون مشغولا بعملي وسترزقين بالأطفال».

أحست جيسيكا أنه أصبح رجلا اخر تماما..وأرادت أن ترفض وتقول كلا غير أنها لم تقوى على ذلك فأخرجت عبارة«نعم»بتردد وضعف وهي ترى نظرات الاحتقار التي رمقها بها سباستيان وقال:«قرار حكيم..وستكونين أول عروسة غير عذراء في عائلة كالفادورس منذ

www.rewity.com

حوالي ألف عام».

-«لقد أخبرتني مرة أنك لن تتزوج امرأة لها عشاق اخرين»قالت جيسيكا بصوت جاف املا في أن يغير من رأيه..

-«تحتم الظروف أحيانا أن ينحدر الأنسان الى مستوى أدنى من مستواه..اذا لم اتزوجك الان فسأتهم باغتصاب فتاتين بريئتين..ولن أسمح بذلك من أجل عمتي وشقيقتي..ومن أجلي أيضا».

-«انه ثمن باهض تدفعه من اجل عائلتك، اليس كذلك؟»قالت جيسيكا باستخفاف،فلم تتوقع مثل هذا المأزق أبدا.

-«لايعتبر باهض الثمن ماهو ثمين...وعندما نحتفل بعيد ميلاد اول طفل لنا قد أستطيع حينذاك اقناع نفسي بجدوى زواجنا الان»قال سباستيان بهدوء.

أما جيسيكا فأنها لن تسمح أن يكون لها طفل من سباستيان وينشأ في هذا المحيط الذي يعج بالكبرياء من اجل عائلة كالفادورس..فلن يكون طفلها وحيدا مثل ليزا..ان طفلها..ولكن!!.. هاهي تتحدث عن طفلها من سباستيان..وحينها أدركت أن لاحول لها سوى الزواج منه مهما كانت العواقب.

(الفصل السابع)

بعد مضي ثلاثة أيام عقد قران سباستيان وجيسيكا في اشبيلية. سألها بكل رقة وأدب عمن تود دعوته الى حفل الزفاف..وأول من خطر على بالها هو عمها وعمتها وكولن..غير أنها علمت أن دعوتهم الى اشبيلية ستثير تساؤلات عديدة وتزيد من الشكوك التي تساورها..لذلك إرتأت إخبارهم بالانباء بعد اكمال المراسيم..

ومنذ موافقتها على الزواج من سباستيان والجميع ينظر الى الزواج على انه شر لابد منه..على العكس من ليزا التي كانت المسرورة الوحيدة.

- «يسرني ويفرحني ان تتزوجي عمي سباستيان، كنت سأمقته لو تزوج بلار..فهي لاتحبني أبدا».

وخيم الوجوم على بقية أفراد العائلة..واخبرها جورج ان شقيقه مضطر للزواج منها وقال: «ليس هناك مايدعو سباستيان ليقع تحت رحمة بلار ولغطها، وهو يعلم جيدا بمطاردتها له ومحاولتها الايقاع بكل فتاة تتقرب اليه».

ونظرت جيسيكا الى سباستيان في محاولة لقراءة مايدور بخلده..فقد أصبحت منذ الآن زوجته أي الكونتيسة دي كالفادورس..وتلمست بأناملها الخاتم الذهبي على أصابعها لتتأكد أن زواجها حقيقة وليس خيالاً.

ودعي ما يقرب من خمسين ضيفاً الى دعوة إفطار بالمناسبة وكانوا غرباء بالنسبة الى جيسيكا ولكنهم من أقرباء سباستيان والذي أرغم على دعوتهم لئلا يستاءوا..

-«انهم يعتبرون سباستيان رب العائلة». قالت العمة صوفيا لجيسيكا التي

www.rewity.com

اعترضت على هذه العدد الكبير من المدعوين «فقد يثيرون بعض المشاكل لو لم توجه اليهم الدعوة.. فان حياة سباستيان مضطربة دائماً..».

وقطعت حديثها.. وأدركت أن العمة تفكر بالفتاة الأخرى التي كان يزمع الزواج منها..

في صباح اليوم التالي كانت جيسيكا في غرفتها تستعد للحفلة حين دخلت العمة وقدمت لها عقداً من اللؤلؤ وقالت:

-«ضعيه حول عنقك.. فكل عرائس ال كالفادورس يفعلن ذلك».

-«ولكني لست تماماً العروسة التي تتمنيها لابن إخيك؟».

-«أنت تحبيه وهذا يكفي، وقبل كل شيء فهو يحتاج الى زوجة تحبه.. واعترف أنه يبدو فظاً أحياناً أو متكبراً مثل زوجي.. الا أنها صفة في عائلة كالفادورس مع الاسف غير أن سباستيان قد عانى الكثير خلال حياته... وفقدان والديه كان صدمة كبيرة له واضطر ان يكون وصياً ورقيباً على جورج.. ثم جاءت المسكينه مانويلا.. وكانت المأساة والتعاسة.. فكم تمنيت أن أراه متزوجاً.. وانا واثقه انك ستكونين زوجة جيدة له لأنك تحبيه».

-«ولكنه لا يحبني!» قالت جيسيكا بألم ومرارة.

-«ان له رغبة فيك.. ومن يدري ماستؤول اليه هذه الرغبة!».

نعم.. من يدري! أطرقت جيسيكا برأسها وقد بدت عليها التعاسة وهي تستمع الى الضوضاء المنبعثة من خارج الغرفة إستعداداً للحفلة.. فقد أصبحت جزءاً من هذه العائله وجزءاً مهماً منها، كما قيل لها ستكون أم الوريث الوحيد للعائله.

لم يخططا لقضاء شهر العسل فقد اعتبر سباستيان ذلك غير ضروري وقررا العودة الى المنزل الريفي، على الأقل لقضاء بضعة أسابيع هناك لحين الانتهاء من التصاميم الجديدة وحينها سيقسمان وقتهما بين المصنع والمنزل.

وقدم جورج منها وصاح بوجه سباستيان غاضباً:

-«ألا يكفي زواجاً واحداً دون حب؟».

ان جورج لايريد الزواج من بربارة التي يريدها سباستيان له زوجة لشقيقه.

وعندما سمعت جيسيكا عبارة جورج هرعت الى غرفتها وأطلقت لدموعها العنان..

أي زواج هذا؟ هل ستطيق هذه العلاقة حيث يتلذذ الزوج بها دون أي اعتبار لمشاعرها وأحاسيسها!

بدت الحفلة وكأنها دون نهاية.. وأحست جيسيكا بدوار شديد وألم يسري في جسدها وكأن عظامها قد تصلبت.. وحين حاول سباستيان الأمساك بيدها لمساعدتها على الوقوف على قدميها.. جرّت نفسها منه بصورة لا إرادية بحيث قال لها:

-«يالهي! لماذا تبتعدين عني كالعذراء الخائفة؟».

وتمنت أن تصرخ أمام الجميع أنها عذراء.. غير أن صوتها خانها ولم تنبس بكلمة واحدة.. ولا تعلم لماذا تسمح له بالاعتقاد انها ليست عذراء.

وعادت الى المنزل الريفي والاوهام تملأ رأسها حول زواجها من سباستيان.. فانه حكم القدر ولاحيلة لها فيه... فسباستيان يريد أطفالاً.. وهي تريدهم أيضاً.. غير أنها لا تريد التفكير بأبعد من حبها

www.new-yu.com

له.. وبينما يظن أن لها تجارب مع الرجال.. والحقيقة...

كان صوت مكيف الهواء في السيارة يبدد الصمت المحيط بها.. فقد كان سباستيان يقود سيارة المرسيدس ويرمق جيسيكا بنظرة بين الحين والآخر وقد بدا عليها التعب.

-«يبدو عليك الشحوب، فهل أنت بخير؟».

-«انه الصداع». قالت بحشرجة وألم.

-«هذا عذر المرأة المتزوجة وليس العروس.. أنت زوجتي ياجيسيكا ولن أدع الصداع يقلقك... والآن ما الأمر؟».

هل آن الأوان لقول الحقيقة؟ وتنحنحت قليلاً وتمنت لو يوقف السيارة ويضمها الى صدره.. فحينذاك سيسهل عليها البوح بالحقيقة.. انها عذراء!.

-«دعك من الخداع» قال سباستيان محذراً جيسيكا «ان صبري ينفذ والحمد لله أني أبقيت على عذريتك حين دخلت علينا العمة صوفيا وبلار.. ولكني لا أطيق المزيد.. والليل أت على أية حال!».

ودهشت جيسيكا لصراحته وقالت:

-«وهل ذلك ثمن حملي طفلك وإسمك؟».

-«ثمن؟». وقال مقطباً. «ماهذا الهراء!.. أنها الرغبة.. مني ومنك على حد سواء..».

ولكن كيف ستكشف له الحقيقة؟ واستدارت برأسها ورأت موكب السيارات الأخرى وراءهم وقالت:

-«الجميع يتبعوننا».

-«نعم.. ربما بمسافة يوم كامل.. اذ سنكون لمفردنا هذا المساء وكما

اقترحت عمتي فالعودة الى المنزل الريفي فكرة صائبة.».

-«لابد وان بلار ستخبر الجميع أني خدعتك بالزواج كما ظننت في السابق محاولتي الايقاع بجورج.».

-«لن تقول بلار شيئاً. ولاأعلم لماذا تتحدثين بهستريا؟».

هذا أمر طبيعي.. فهو لا يشعر بشعورها ولا يعلم أنها ليست...

وعند الغروب وصلا المنزل وكان النسيم معطراً برائحة الزهور المحيطة بمدخل المنزل.. فالمنزل يبدو خالياً من الجميع.. وهمت بالصعود الى غرفتها في البرج حين بادرها قائلاً: «ليس هذا الطريق الصحيح.. ستشاركيني غرفتي منذ الآن».

غرفته... سريره.. كل شيء يثير فيها الخوف والرعب.. وكانت غرفته في الجزء الذي لم تشاهده جيسيكا من المنزل.. وكانت غرفة واسعة ومنعزلة تطل على فناء كبير مظلم ومؤثثة تأثيثاً فخماً.

-«ان غرفة النوم في الجانب الآخر.».

وارتعدت جيسيكا لعبارته فحين تحدث عن الرغبة فلم يكن يعني ما يقول، ومازالت الساعة السابعة مساءً.. تسارعت الأفكار في رأسها.. وكانت تبحث عن وسيلة تكشف بها الحقيقة تدريجياً.. وقالت وهي تعلم أنها تكذب «أنا جائعة... أنا..».

-«وأنا جائع أيضاً.. أظن انني حذرتك من المراوغة.. ماذا تريدين بالضبط؟ أن تستدرجيني لكي أغتصبك؟ هل هذا ماتريدين؟».

-«كلا» صرخت جيسيكا ثائرة. «أنا....». وتمنت أن تقول أنها غير مستعدة ولكنها لم تمتلك الجرأة.. وبصوت مصطنع قالت: «أريد أن أستحم وأغير ملابسي فالرحلة كانت متعبة و...».

www.rewity.com

-«بالتأكيد.. الحمام من هذه الناحية». أشار سباستيان الى باب داخل غرفة النوم.. غير أن جيسيكا ترددت وأحس بشعورها فأختلق عذراً وقال:

-«سأعود بعد قليل إذ لدي ماأقوم به الآن.».

شعرت جيسيكا بالأطمئنان وهي تسمعه يوصد الباب، وتوجهت حالاً الى الحمام وأرادت تغيير ملابسها وفتحت باب غرفة الجلوس وشاهدت سباستيان واقفاً أمامها وقال:

-«أذاهبة الى مكان ما؟».

-آه.. ملابسي... أنا..».وتلعثمت في الكلام.

-«تجدين كل ما تحتاجينه في الخزانات.. فقد أعدتها الخادمة خلال غيابنا».

ووقف يراقبها.. وأضاف قائلاً. «لماذا أنت مرتبكة؟ فليس الأمر بجديد عليك؟».

-«أنها المرة الأولى التي أتزوج فيها!» ردت بصوت عال.

-«لقد هيأ لنا رفائيل بعض الشمبانيا المبردة.. سأهيء بعض الكؤوس وربما ستريحك الشمبانيا وتهدئ أعصابك قليلاً.».

وغادر الغرفة بعد ذلك.. وبحثت جيسيكا في الخزانات عن بعض الملابس التي تناسبها ولو أن معظمها لا يلائم ليلة الزفاف.

ودخلت لتستحم والرعب مازال يملؤها.. ولكنها تذكرت انها تحبه.. غير أنه حب من جانب واحد إذ لايعلم أنه أول رجل في حياتها.. وأحست بالماء البارد يلسع جسدها وطفحت رائحة الصابون المعطر وملأت المكان بعبيره..وثم مدت يدها لتغلق صنبور الماء عندما سمعت

صوتاً خافتاً يقول لها:

-«مازالت رغوة الصابون على أذنيك».

إنه سباستيان.. فلم تسمع وقع خطواته عندما دخل الحمام واسرعت لتلف جسدها بالمنشفة.. وصرخت وقد أحمرت وجنتاها.«أرجوك ياسباستيان!».

-«لاداعي للرجاء ياحبيبتي، فأنت مغرية رغم تحفتك.. ان رائحة عطرك تعجبني».

وانتابتها رعشة خوف وخجل وتقلصت عضلاتها وكادت أن تنفجر في وجهه ولكن سرعان ما قال:

-«مابك ياجيسيكا؟».

-«أريد أن أغير ملابسي... وأشعر بالجوع قليلاً و...».

-«وأنا كذلك.. وأرجو أن لاتفكري بالعدول عن الزواج.. أريدك ياجيسيكا.. واريدك الآن... ربما انت على حق ولا وقت للمداعبة في الحمام.. ربما في وقت آخر.. أي... سيكون لدينا متسع من الوقت للمرح.. أما الآن فأريدك لي».

-«كلا» صرخت جيسيكا باحتجاج، غير أنه حملها بين ذراعيه الى غرفة النوم وكانت ترتعش رعباً ثم قدم لها كأساً من الشمبانيا إرتشفت منه قليلاً وانسكب الباقي على السرير اذ كانت يداها ترتجفان.. وأدرك سباستيان سبب مخاوفها ورعبها وقال:

-«لماذا لم تخبريني أنك عذراء؟».

-«وما الفرق عندك؟» أجابت جيسيكا بمرارة. «أظن أن ذلك ما تتمناه عائلة كالفادورس لأي من أبنائها عند الزواج، أليس كذلك».

www.rewity.com

-«ولكن.. كان الأجدر أن تخبريني بالأمر.».

-«لماذا؟ لقد كنت فظاً معي ولم تأبه لمشاعري وأحاسيسي.».

-«في هذه الحالة.. صدقيني.. لن أؤذيك مرة ثانية بعد الآن». قال سباستيان وهو يطمئنها وقد بدا عليه التجهم «لا أريد أن أُحَب بالاكراه».

-«ربما لأن بلار قريبة منك دائماً، إضافة الى أنها ليست عذراء لكي تخشى منك ومن مطاليبك!» قالت جيسيكا ساخرة.

وأبتسم سباستيان وقال:

-«ان مطالبي ليست سوى ما يريده أي رجل مثلي.. غير أن الخطأ هو أني أشركتك فيها.. وبما أنك تريدين البقاء عفيفة ومحتشمة.. أذاً سيكون لك ذلك».

(الفصل الثامن)

جلست جيسيكا مع العمة صوفيا في الصالة وبقربهما كانت ليزا تستمع الى حديثهما وهما يتناولان القهوة والبسكويت.

وقالت العمة صوفيا أنهم يتوقعون زيارة من الاب الروحي لسباستيان وابنته، والتفتت فجأة نحو جيسيكا وقالت:

-«هل أنت بخير ياجيسيكا..يبدو عليك الشحوب..ربما لانك لازمت غرفتك طويلا تعملين على انجاز التصاميم..وأظن يجب أن تتنزهي قليلا».

-«نعم فقد وعدت أن ترافقيني». قالت ليزا.

أرغمت جيسيكا نفسها على الابتسامة..والالم يعصرها اذ كيف يمكن لشخصين يعيشان كزوجين ان يكونان متباعدين هكذا؟وظنت ان سباستيان سيفكر بقضاء الليلة في غرفة منفصلة فليست لديه الرغبه في مشاركتها سريرها..ولكنه لم يفعل..وربما دفعه الكبرياء لفعل ذلك وعلى أية حال ومهما تكن الأسباب فقد اضطرت لتحمل المذلة كل ليلة وهو راقد على سريرها وعلى بعد شبر واحد عنها..ولكنه أبعد من النجوم اليها.

وعلمت أن الأمر لم يعد خافيا على البعض اذ لاحظت نظرات العطف في عيون العمة صوفيا.

ونهضت جيسيكا عندما كررت ليزا دعوتها للتنزه سوية. وكانت ترتدي فستانا جميلا ولو أن جيسيكا حذت إرتداءها بنطلونا قصيرا وبلوزة قصيرة الأكمام.

-«أتمنى لو كان العم سباستيان معنا، متى سيعود من اشبيليه؟».

-«هذه الليلة». أجابت جيسيكا وهي تخفي أحاسيسها نحوه فلم يسبق أن

www.liilas-ewity.com

لاحظت عليه هذه الدرجة من الضجر والغضب. فمن الحماقة ان تظن أن حبها له سيكون مفتاحا للوصول الى اعماق قلبه..فلم يعد بحاجة الى حبها.

-«سأريك مخبأي السري». قالت ليزا بهمس«لا أحد يعلم سره سوانا..والعم سباستيان».

واقتادتها الى الاصطبلات حيث يوجد حصان ليزا الصغير..وأطعماه قليلا من الجزر.

-«كانوا في الماضي يصنعون النبيذ هنا». قالت ليزا وهي تفتح بابا كبيرا يفضي الى احدى الاصطبلات «هيا بنا نهبط الى الاسفل». وتبعتها جيسيكا الى زاوية يعلوها نسيج العناكب..ودهشت حين أشارت ليزا الى باب قبو عميق..وأحست بالرعب وترددت في النزول غير أن ليزا دعتها الى اللحاق بها وقالت:

-«انه مكان ممتع أليس كذلك؟»

وهبطت السلالم بسرعة وكأنها تعلم بجميع المسالك..واضطرت جيسيكا الى أن تحني رأسها لئلا ترتطم بالسقف الواطىء ووجدت نفسها في غرفة مستطيلة الشكل يضيئها مصباح صغير يتدلى من سلك في السقف..وكان السقف يتألف من اقواس من الحجارة..والجدران تعلوها الرطوبة والهواء بارد وقالت ليزا:

-«لاأحد يعرف طريق النزول الى هنا..اذ ان القبو كان يستخدم لخزن براميل النبيذ في الماضي».

وقررت جيسيكا تحذير سباستيان من خطورة المكان وأن لايدع ليزا تذهب لمفردها اليه وذلك لأن السقف كان على وشك الانهيار..أصابتها رعشة حينما خيل اليها أنها حبيسة هذا القبو..

وعند عودتها قابلا جورج الذي كان عائدا من جولته على الحصان وصاحت ليزا ضاحكة عندما حملها جورج في الهواء واخذ يدور بها.

-«عمي جورج..أنزلني..».

-«اذاً هذا هو سر اعجاب الاخرين بك..أن ترغمهم على تقبيلك»قالت جيسيكا.

-«ولكن لم أفعل ذلك معك»رد جورج مازحا.«لاتستطيع تقبيلها ياجورج لأنها زوجة عمي سباستيان.».

-«أنا اخ محظوظ إذاً»أجاب جورج ضاحكا وضحك الجميع وعادوا الى المنزل..جورج يحمل ليزا بيد ويده الأخرى حول خصر جيسيكا..وعند اقترابهم من المدخل الرئيسي قطعت جيسيكا ضحكتها حين رأت سباستيان متجهم الوجه وبجواره العمة صوفيا وبلار..وخشيت من الانطباع الذي تركته لديهم..خاصة وأن نسيج العناكب مازال متعلقا بشعرها وملابسها وذراع جورج حولها.

-«هل نسيت أن بلار ستزورك هذا المساء؟»قال سباستيان.

نظرت جيسيكا الى بلار وهي في كامل زينتها..ولم يخطر على بالها أنها تعلم بهذه الزيارة من قبل ولاسببها..فأنها لاتميل الى بلار..وهو شعور تتبادله السيدتان..والسبب هو معاملة بلار الفظة لبنت شقيقتها – المسكينة ليزا.

واعتذرت جيسيكا للجميع لكي لاتثير المشاكل وطلبت الاذن لها للصعود الى غرفتها لتغير ملابسها حين قالت بلار:

-«لاتقلقي جيسيكا أفهم السر..فحين ترافق المرأة رجلا وسيما مثل جورج فأنها تنسى صديقاتها!».

www.liilas.com

وبدت ملامح الغضب على وجه سباستيان وعضت جيسيكا شفتها سخطاً وهي تعلم أن سباستيان يدرك ان بلار مخطئه..وإن جورج ولكن لماذا يحاول جورج تفادي نظرات شقيقه؟فقد كان لقاؤهما صدفه عند عودتها مع ليزا من النزهة!

وأحست ليزا بالتوتر الذي خيم على الحاضرين وسارت على اطراف أصابعها لتمسك بذراع عمها سباستيان غير انها فقدت توازنها بأقرب شيء منها..وشاءت الصدف أن يكون ذراع بلار التي كانت تحمل كأسا من النبيذ..فارتجف الكأس في يدها وانسكب النبيذ على فستانها الحريري واستدارت نحو سباستيان غاضبة وهي تهز ليزا بقوة من كتفها وقالت:

-«هذا لايطاق ياحبيبي! ان الفتاة أصبحت مشاكسة وقلت لك سابقا ان تتركها في الدير لتتعلم الأدب والاخلاق فيما يليق بالبيت الانجليزي لايليق بنا..وربما يجب أن توضح ذلك لزوجتك فيبدو أنها تشجع ليزا على المشاكسة والتمرد..أيتها الوقحة!»

وارتعشت ليزا من عبارات بلار وتهديداتها..وأرادت جيسيكا التدخل في الأمر..فلم تعد تتمالك أعصابها أمام الطريقة التي ترهب بها الطفلة..ثم أن انسكاب النبيذ على الفستان لم يكن متعمدا..بل ربما لاتملك سواه لذلك اقامت الدنيا وأقعدتها.

-«ربما انت على حق ياحبيبتي».قال سباستيان.«ليزا..اعتذري من عمتك واسرعي الى غرفتك حالاً».

-«ان الخطأ تتحمله جيسيكا وليست ليزا». ردت بلار بخبث.«ألاترى كيف أن الطفلة قذرة وغير أنيقة؟».

-«قد يكون لزوجتي أثر على بعض الناس». قال سباستيان وادار وجهه نحو الطفلة قائلا.«ليزا! لقد قلت لك أن تذهبي الى غرفتك حالا..هيا!»

وأحست جيسيكا ان العمة صوفيا قد انزعجت مما جرى فقاطعته بحيرة قائلة:

-«انه مجرد حادث بسيط..ماذنب المسكينة ليزاء فاللوم يقع على الجميع..سباستيان...أنا».

-«إحذري ياجيسيكا»قاطعتها بلار باستهزاء.«لايجب سباستيان أن يخالف قراراته أحد..أليس كذلك ياحبيبي؟»

وتجاهلتها جيسيكا تماما وقالت:«هيا ياليزا..سأصحبك الى غرفتك».

جلس الجميع لتناول طعام العشاء وكان الوجوم مخيما عليهم..ولم تعلم جيسيكا سبب غضب سباستيان وحديثه الفظ معها حيث كان صامتا مع الجميع.

-«سيصل السيد الفاريز ولويزا غدا..فهل يوسعك استقبالهما في القصر».

-«سأكون مشغولا!»قال باقتضاب.

وظنت جيسيكا ان توتره وغضبه نتيجة زواجها السري.

-«سأذهب انا لأستقبالهما». قال جورج «وساصحب ليزا وجيسيكا معي».

-«لاأظن ذلك»قال سباستيان ببرود.«إذ أن السيارة لاتسعكم جميعا إضافة أن ليزا ستبقى في المنزل عقابا على سوء سلوكها هذا اليوم».

-«وهل يشملني ذلك؟»سألت جيسيكا.«وهل أمكث في غرفتي حتى

www.elwatanya.com

على نسياني دعوة بلار؟».

-«ان ليزا مازالت صغيرة السن، ويمكن صقل عاداتها وسلوكها على العكس منك. واسمحي لي الان فلدي عمل كثير..» قال سباستيان بتهكم.

-«أوه..». وقال جورج بعد أن غادر سباستيان الغرفة.«لاأدري ماحصل له هذا المساء..هل تخاصمتما؟»

-«خصام؟»ضحكت جيسيكا بهستيرية..اذ كيف يتخاصمان وهما لايتحدثان الى بعضهما البعض..!

-«انه متعب»،قالت العمة صوفيا.«كان يعمل دون راحة وقد حذرته قبل أن.. لم أعلم شيئا عن زيارة بلار». قالت جيسيكا محاولة تصحيح سوء الفهم.

-«انها تحاول اثارة سباستيان هذه الايام ويدفعها ذلك أحيانا الى القيام ببعض الحركات المريبة..وأظن أنها لاتريد الاحتكاك بك!».قالت العمة صوفيا.

-«هل قال سباستيان شيئا عن بربارة».تساءل جورج بينما كانا يتجولان سوية في فناء المنزل.

-«لم يقل شيئا». ردت عليه جيسيكا.

-«أخشى ان يكون مستاء مني..ولكني لن أتزوج فتاة لااحبها!».-«كلا بالطبع». قالت جيسيكا بحرارة وهي تفهم صدق شعوره.

وواصلا النزهة في ضوء القمر الذي كان يضيء فناء المنزل وكانت الريح رطبة ودافئة...والسكون يسود المكان وقال جورج:

-«أعتقد أن عاصفة على وشك الهبوب، فنحن بحاجة الى مطر..فقد كان

موسم الربيع جافا..»واحتكت ذراعه بذراعها وهما يسيران جنبا الى جنب.توقف عن المسير فجأة وأمسك بها من كتفها وقال:

-«انك تختلفين عن ابنة عمك..فهي تاخذ من الاخرين ماتريد وأنت تعطين أكثر مما تأخذين..واحذري ان تعطي شقيقي اكثر مما يجب..فالشيطان ركب رأسه منذ أن توفت مانويلا».

ما الذي يحاول جورج قوله؟ هل يريد أن يخبرها أن سباستيان مازال يحب مانويلا؟.

وأطرقت برأسها والدموع تنهمر على خديها! ولم ترغب بالذهاب الى غرفتها فقد كان سباستيان خارج المنزل...إذ ربما يتأخر بالعودة ليتجنب الجلوس معها والتحدث اليها.. ولم تعلم سبب التغيير المفاجيء في شخصيته ومزاجه ولكنها لم تعد تطيق البقاء مستيقظة طيلة هذه الليالي الساكنة وهو يعلم أنه على مسافة شبر واحد منها فقط... وتذكرت الاهانات والازدراء ليلة زفافها ورغم كل ذلك.. مازالت تتمنى أن يبادلها الحب!

فتح الباب على حين غرة وتسمرت في مكانها حين رأت سباستيان في نور القمر المنبعث من النافذة.. وقال بكل برود: «اذاً قررت العودة.. فقد ظننت بعد الذي شاهدته تواً أنك ستمضين الليلة مع شقيقي!».

وذهلت جيسيكا لما سمعته واحتجت قائله:

-«كنت أتحدث معه».

وأسكتها بضحكة عالية وقال :« أي تتحدثين بنفس الطريقة التي شاهدتك فيها هذا المساء اليس كذلك ؟».

كان من العسير اقناعه انها قابلت جورج بالصدفة، اثناء عودتها مع

www.rewity.com

ليزا من النزهة.. وهنا تذكرت وجه ليزا الباكي ودموعها حين دخلت غرفتها لتتمنى لها ليلة سعيدة وتقرأ لها قصة قبل ان تخلد الى النوم.

– «كنت قاسيا مع ليزا هذا المساء». قالت جيسيكا وهي تدرك أنها قادرة على الدفاع عن ليزا وليس عن نفسها. «أنه مجرد حادث ولايقع اللوم عليها... ان بلار تحاول دائما اغاضتها... انها تعبدك ياسباستيان، وأنت فظ معها ولا أفهم سبب غضبك معها».

– «لاتفهمين حقا ! ربما لأن الحيوان الجريح يتشبث بأي شيء حوله ساعة الألم... ربما لأني سأجن.. فعندما تزوجتك لم يكن في نيتي ان يكون زواجنا عذريا !».

– «كنت مضطرة لأخبارك الحقيقة، لقد أردت ذلك ولكن....».

– «ولكنك فضلت ان استنتج ذلك بمشقة ثم تحولت نحو شقيقي بحثا عن السلوى». قال سباستيان بغضب. «ربما لاتجدين السلوى بين ذراعي ولكني لست قديسا لأحترق بنار الجحيم، وانا الذي أملك وسيلة اخمادها بين يدي... لقد كنت مستعدة لأن تهبي نفسك لشقيقي.. والان عليك ان تمنحنيني نفسك فأنا بحاجة اليك ياجيسيكا... وستكونين لي فقط وليس لأحد سواي ولا حتى لشقيقي.. فستحملين أسمي على الدوام... !».

وسرحت جيسيكا مع أفكارها ونور القمر يضيء جزءا من وجه سباستيان وهو يقترب منها... فهو يتحدث اليها بعاطفة وحنان ظناً منه أنها ماتويلا.. زوجته الأولى.

وعند الصباح أستيقظت جيسيكا لتجد نفسها لوحدها في السرير، ويبدو ان سباستيان قد غادر مبكرا.. وأحست بدوار خفيف وضعف في

اطرافها وتمنت ان يكون سباستيان قربها ليأخذها بين ذراعيه ويقبلها قبلة الصباح... وأقنعت نفسها أن الايام القادمة قد تجعله اكثر رقة وحناناً.

وفاتها أنه ذهب الى اشبيليه عند الصباح.. وهرعت الى الطابق السفلي علها تراه قبل مغادرته.. غير أن املها خاب حين علمت انه قد رحل.. وكان شقيقه جورج يتناول طعام الفطور مع ليزا..

وأعتادت جيسيكا ان تناقش مع العمة صوفيا مسألة اختيار طعام الغداء مع الطباخ.. فالمنزل كبير ويحتوي على تحف كثيرة وثمينة وتحتاج الى عناية فائقة وتنظيف مستمر.. والخدم قد توارثوا هذه المهنة عن آبائهم وامهاتهم الذين خدموا لدى عائلة كالفادورس.

– «لا أظن اني سأستطيع مواكبة العمل في هذا المنزل الواسع !» قالت جيسيكا.

– «بالعكس ياعزيزتي... ستنجحين في ذلك بوقت قصير. وسيحبك الجميع». قالت العمة صوفيا.

– «عدا سباستيان» تمتمت جيسيكا.

كانت ليزا حزينة ذلك الصباح وأضطرت جيسيكا الى مرافقتها طيلة اليوم.

فقد انتهت من اعداد النماذج والتصاميم والأمر متروك لسباستيان لينتقي منها مايشاء... وتسلمت رسالة من عمتها وهي تسأل عن أحوالها وتبعث بتمنياتها لها بالسعادة في زواجها.

وجاء في الرسالة أيضا ان إيزابيل ستتزوج بعد ثلاثة أشهر وطلبت منها ان تحضر حفلة زفافها...

وتنهدت جيسيكا وهي تطوي الرسالة بعد أتمت قراءتها.. وتمنت

www.rewayat.com

لأيزابيل كل خير وسعادة.. واستدارت نحو ليزا ودعتها الى لعب الورق معها.. وبين الحين والآخر تلقي بنظرة الى الباب بأنتظار عودة سباستيان الذي كان قاسياً معها.. فهي تستطيع ان تغفر له كبرياؤه وغروره غير أن رفضه الأعتراف ان ليزا إبنته امر يثير القلق حقاً.

- «هل سيرسلني العم سباستيان الى الدير حقاً ؟».

- «لا أظن...». قالت جيسيكا وهي تحاول تطمينها وتهدئتها..

- «لكنه سيتخلص مني عندما ترزقون بأطفال». قالت ليزا. «فقد اخبرتني بلار بالأمر».

- «بالطبع لن نتخلى عنك ابدا». قالت جيسيكا وهي تحاول تغيير الموضوع غير أن ليزا لم ترد عليها..

وبعد طعام الغداء عاد جورج بصحبة الضيوف من أمريكا الجنوبية ..وتقدم أحدهم وهو السنيور الفاريز وحيّا جيسيكا والعمة صوفيا بكل أدب ومودة، وقال للعمة أنها مازالت في شبابها رغم مرور السنين، وقالت العمة في ردها عليه:

-«أذا لابد أن تغير نظرتك لأن اخر مرة التقينا فيها كانت قبل عشرين عاما.».

-«نعم ومازالت أتذكرها وكأنها البارحة ..وحينها كان قد مضى على زواجك ستة أشهر فقط..وكم شعرت بالغيرة من ابن عمي وأظن ان الكثيرين يحسدون سباستيان!». قال السنيور الفاريز وهو ينظر الى جيسيكا وأضاف:

«قال جورج أن سباستيان مشغول وسيعود لتناول الطعام معنا..فلا تدعيه يعمل طيلة النهار دون أن يمرح بعض الوقت..فلديكم معشر

الانجليز قول على ذلك اليس كذلك؟».

-«لا أدري ماذا جرى هذه الايام». قاطعه جورج مبتسما «فقد عانت ليزا الكثير بسبب حدة مزاجه أمس، واللوم يقع على بلار سانشيز..هذه النمرة المتوحشة!».

-«اه..بلار!» قال الفاريز مطرقا برأسه «ملعونه تلك المرأة...أرى من واجبي أن أرعى ليزا الصغيرة وأحميها من براثنها!».

ثم قدم السينور الفاريز ابنته للحاضرين..ولاحظت جيسيكا نظرات جورج الى الفتاة..فقد كانت جميلة وشابة ذات عينين عسليتين وشعر مسدول أسود اللون..وبدا عليها الخجل رغم أنها في الثامنة عشرة من عمرها

وطلب جورج من الجميع أن يأذنوا له وللفتاة بالتجول في فناء المنزل الواسع..

-«إن ابنتك جميلة جدا». قالت جيسيكا بلطف بعد ان غادرت الفتاة مع جورج.

-«إنها زهرة حمراء..غير أن اغلب الرجال يفضلون الأزهار الذهبية التي تأتي من الشمال». قال الفاريز وهو يتحدث بلغة الشعر.

لقد جاء السنيور الفاريز الى أسبانيا في زيارة عمل ومتعة في نفس الوقت..وعندما علم أن جيسيكا تساعد سباستيان في تصاميمه الحديثة بدأ بالحديث معها حول الأصواف وأمريكا الجنوبية..وسرّت جيسيكا باحديثه الممتعه وكان يثني عليها بين الحين والاخر على العكس من سباستيان الذي لم تسمع منه أية عبارة مديح أوثناء..ولم يغازلها أو يداعبها وشعرت بالتعاسة والعذاب.

www.rewity.com

وقبل طعام العشاء عاد سباستيان الى المنزل وكانت بلار من بين المدعوين بهذه المناسبة..لمجرد أن لها معرفة بعائلة الفاريز ولأنها أرملة..فليس هناك مايمنع حضورها الحفلات دون مرافقة رجل.

ووصلت عندما كان الجميع يتناولون النبيذ في الصالة الكبرى. كانت ترتدي فستانا حريريا أسود اللون يخفي جسدها النحيل وظهرها المقوس..أما جيسيكا فقد بدت شاحبة اللون...ولويزا كانت ترتدي فستانا أبيضا أضاف على جمالها جمالا..

وتأخر سباستيان في الحضور..فقد دخل الصالة قبل وصول بلار بدقائق قليلة..وهرعت بلار للأمساك بيده ولفت ذراعها حول خصره وهي تحاول تصنع الضحك مع الحاضرين.

-«هل مررت على ليزا ؟»سألت جيسيكا بهدوء قبل العشاء.«فقد كانت حزينة طيلة اليوم لأنك غاضب معها».

وظنت جيسيكا أن الجميع لم ينصتوا اليها حين تحدثت مع سباستيان غير أن بلار أدارت وجهها نحوهما وقالت متصنعة الرقة «لابد وأن أمر بها أيضا قبل مغادرتي ..فقد كانت غريبة الأطوار مؤخرا..واضطررت الى الغضب منها يوم أمس!».

لم يرد سباستيان على جيسيكا وامتنعت عن إعادة السؤال فقد ظنت أن الليلة الماضية قد جعلته أكثر ليونا غير أن أملها خاب عندما دخل سباستيان الى الصالة..فقد كان يحاول عدم التقرب أو الاقتراب منها وكأنه ينذرها بعدم القيام بذلك بنفسها..فهل ان حبه لما نويلا كان عظيما جدا بحيث لن يسمح له بحب امرأه اخرى غيرها؟

وتنهدت جيسيكا وادركت أن الليلة لن تمر بسلام..فقد لاحظت أن

الحديث مع جورج ولويزا قد اتخذ طورا اخر خاصة وان النظرات المتبادلة بينهما كانت تحتوي على معاني كثيرة..ولكن ما الذي سيحدث لو علم سباستيان بالأمر؟

فلم توافق العائلة لحد الان على تخلي جورج عن فكرة زواجه من بربارة ولو أن جيسيكا لاتتفق مع سباستيان على ارغام أخيه على الزواج من بربارة..ولكن هذه هي الطريقة الاسبانية في الزواج.

كانت الأمسية حارة ورطبة وقبل أن تنتهي جيسيكا من طعامها شعرت بالغثيان والدوار ولكنها قاومت الألم..وظنت أن الجميع منهمكون في طعامهم ولا يراقبون حركاتها..غير أن عيون بلار لم تفارقها..وعندها توقفت جيسيكا عن الطعام وانتابتها قشعريرة سرت في مفاصلها..وحاولت الانصات الى الحديث الدائر بين سباستيان وضيفه اذ سمعت إسمها يتردد في حديثهما واستدار السنيور الفاريز نحوها وقال:

-«ان زوجك يثني عليك باعتبارك مصممة أزياء رائعه ويقول أن الأقمشة يميز النماذج التي ترسمينها».

وأحست جيسيكا أن بلار ترمقها بنظرات الحسد والحقد..غير أنها حاولت تجاهلها..سباستيان يثني عليها!؟غمرتها السعادة وأذابت الثلج من على قلبها.

www.rewity.com

الفصل التاسع

-«هل شاهدت ليزا ياعمة صوفيا؟» سألت جيسيكا وهي تبحث عن الطفلة الصغيرة منذ أكثر من نصف ساعة.. إذ لم يعثر عليها أحد منذ وقت الغداء..

وانطلقت جيسيكا من النافذة ونظرت الى السماء الملبدة بالغيوم السوداء، واستبعدت ان تكون ليزا قد غامرت بالخروج من المنزل فالمطر قد ينهمر في أية لحظة وقد حذّر الراديو من وقوع فياضانات.

وقلق سباستيان بشأن أشجار الكروم، رغم أنها لم تكن في مراحل نموها الأولى.. الاّ أن الامطار الغزيرة قد تؤدي الى تدمير محاصيل الكروم وتلفها في المزارع الصغيرة.

وقال جورج ان سباستيان ومجموعة أخرى من أغنياء المزارعين قد أسسّوا جمعية لمساعدة المتضررين من صغار المزارعين.

-«أنه يتحمل المسؤولية لأنه كبير العائلة». قال جورج. «وربما لأنها ألقيت على كاهله منذ أن كان يافعاً بعد وفاة أبيه».

-«أنا قلقة بشأن ليزا». قالت جيسيكا «أين هي ياترى؟».

-«لقد كانت متزعجة». قالت العمة صوفيا. «وقد أخبرت سباستيان أنه كان فظاً معها.. ولكنه يبدو في صراع مع نفسه».

-«من الأفضل أن أصعد الى غرفتها مرة أخرى لأتأكد من عدم وجودها هناك».

اقترحت جيسيكا.

-«اذا لم تعثري عليها فسنبحث عنها سوية.. فالأطفال لا يدركون

مايفعلون عندما يغضبون.. حتى الهادئين منهم!».

لم تكن ليزا في غرفتها.. ودخلت الخادمة ماريا حين سألتها جيسيكا «هل شاهدت ليزا؟» وهزت ماريا رأسها وقالت:

-«لم أشاهدها منذ الصباح.. فقد كانت متزعجة ومضطربة، والليلة الماضية...».

وعضت شفتاها وترددت... وصاحت جيسيكا:

-«حسنٌ.. ماذا أيضاً.. هيا تكلمي.. في الليلة الماضية.. ماذا؟».

-«لقد صعدت السيدة بلار الى غرفة ليزا، وكنت ذاهبة الى المطبخ لأجلب لها قدحاً من الحليب الساخن قبل نومها... وعندما صعدت ثانية سمعت صوتها... وكانت بلار غاضبة جداً وتصرخ باعلى صوتها.. ولم أدخل الغرفة حينها ولم تشاهدني بلار عندما غادرت الغرفة.. ثم دخلت وشاهدت ليزا تبكي بحرقة.. فقد أخبرتها بلار انها مشاكسة ولابد من عقابها.. وان سباستيان سيتخلص منها بارسالها الى مدرسة بعيدة بحيث لايمكنها العودة ثانية».

وارتعبت جيسيكا من قسوة بلار، وذعرت لأخفاء سباستيان خططه عنها.. ولم لا؟ ان بلار هي عمة ليزا.. ولكن كان يجب أن يستشيرها قبل قراره بأرسال الطفلة الى المدرسة، اذ لابد وان في اشبيلية مدارس أفضل وقريبة من المنزل بحيث يمكنهم قضاء عطلة نهاية الاسبوع سوية... ولكن لماذا يعامل إبنة شقيقته بهذه القساوة؟

-«لقد حاولت مواساتها غير أنها بكيت في سريرها حتى ساعة متأخرة من الليل».

قالت ماريا.

www.rewity.com

-«ولماذا لم تخبرني بالأمر؟». قالت جيسيكا وهي تشعر بالحزن لأن الجميع كانوا يتناولون طعام العشاء ليلة أمس بينما قضت ليزا ليلتها بالبكاء..

-«هل قالت شيئاً في الصباح!» سألت جيسيكا.

وهزت ماريا رأسها بالنفي قائلة: «لم تنبس بحرف واحد.. فقد كانت صامتة».

ولم تتمالك جيسسكا أعصابها وأسرعت بالنزول الى العمة صوفيا لتخبرها بالأمر.

وازاد قلق العمة حين سردت لها جيسيكا الرواية وقالت:

-«هل تقولين ان بلار أخبرت ليزا بنيّة سباستيان في أرسالها الى المدرسة؟ لا أستطيع أن أصدق أن سباستيان قرر ذلك دون استشارتنا.. ألا تظنين أن ماريا تهوّل الأمور؟».

وجاء جورج وأفصحت له السيدتان مخاوفهما.. أما السنيور الفاريز الذي كان بصحبة جورج فقد أقترح أن يبدأ الجميع بحملة تفتيش واسعة في أرجاء المنزل.

-«يجب أن نخبر سباستيان حالاً» قال الفاريز.

-«سأتصل به تلفونياً الاّ اذا..» قال جورج واستدار نحو جيسيكا، غير أنها هزت رأسها بالرفض.. فقد تفقد السيطرة على أعصابها لو تحدثت الى سباستيان خاصة وأنها قلقة جداً بشأن ليزا... وأنتابها شعور بالغثيان وهي تفكر بمأساة الطفلة.. وعلى أية حال فحالة الغثيان قد لازمتها منذ الصباح وقد ظنت أن الطعام الذي تناولته في عشائها كان السبب...

-«هل أنت بخير؟» سأل السنيور الفاريز عندما لاحظ الشحوب على

وجهها وأسرع الى جانبها.

-«لاشيء ...أنا بخير الآن.» قالت جيسيكا وهي تحاول أن تفهم معنى النظرات المتبادلة بين الفاريز والعمة صوفيا.. وحين اقتربت منها العمة قالت لها:

-«لاحظت مؤخراً انك تشكين من الغثيان في أكثر من مناسبة... فهل أنت...؟».

وبعد ثوان قليلة فهمت جيسيكا ما تعنيه العمة بسؤالها... فهل يمكن ان تكون حاملاً؟ ولم لا؟

وأصابها الهلع... فلم تكن مستعدة لتحمل مسؤوليات الطفل... اضافة الى ان علاقتها مع سباستيان مازالت جافة وتشوبها المشاكل والخصامات... فليس من حقها ان ينشأ طفلها في بيت غير مستقر.... فالاطفال ينشأون عادة في بيوت تغمرها المحبة والحنان والرعاية.

وتوقفت عند ذلك الحد فلربما لم تكن حاملا ابدا.... واصغت الى السنيور الفاريز وهو يتحدث بالتلفون الى سباستيان.

- «ان سباستيان سيعود حالا... وفي الوقت نفسه لنبدأ البحث الان» وقاد السنيور الفاريز حملة البحث بنفسه... وانتشر الجميع في انحاء المنزل عدا لويزا التي رافقت جورج في مهمته.

وصعدت جيسيكا معها الى الطابق العلوي من المنزل... وفجأة خطرت على بالها فكرة.... وهرعت بالنزول والخروج من المنزل الى الفناء الخارجي غير مبالية بالمطر الكثيف.... وتوجهت مسرعة نحو الاصطبلات... وكان املها ان تجد اتريكو عامل الاصطبل هناك غير انه يبدو قد احتمى من المطر في مكان امين اخر... واول مالفت نظرها

www.rewity.com

عندما اقتربت من الاصطبلات ان السقف لم يعد يتحمل ثقل مياه الامطار فوقه... وعندما اقتربت منها شاهدت الماء ينضح من بعض الشقوق في السقف.... وواسرعت نحو باب القبو الذي تتخذه ليزا مخبأ سريا لها... وصرخت باعلى صوتها منادية «ليزا... ليزا!» وظنت انها سمعت صوتا خافتا يجيبها... وفجأة دوى صوت الرعد وكأنه يرتطم بالسقف المتداعي فوق رأسها.

ولم تبالِ بالماء الذي بدأ ينهمر من جدران القبو القديمة والمتآكلة وكان يوجد مصباح صغير يبعث بنور خافت ليضيء جزءا من السلالم تحت قدميها... ووقفت حائرة فيما تفعل.... فهل تعود طلبا للنجدة وتخبر الجميع ان ليزا قد تكون خائفة او مصابة في اسفل القبو... وكانت على وشك العودة حينما سمعت صوتا خافتا ينبعث من داخل القبو.... وانصتت واذا به صوت ليزا... اذاً فهي حقا هناك...

وصاحت: «لاتقلقي ياليزا... سأنزل لنجدتك».

وحالما وطأت قدماها ارض القبو سمعت صوتا مدويا اشبه بصوت انهيار... واقنعت نفسها انه صوت الرعد... ولكنها خشيت في قرارة نفسها ان ما حصل هو اسوأ من الرعد... فالصوت اشبه بدوي الانهيارات الجليدية التي شاهدتها في التلفزيون... ولكن لايوجد جليد في هذه المنطقة من اسبانيا... لايوجد سوى المياه... وتذكرت السقف المتداعي من وطأة المياه وثقلها... ولم ترد التفكير عما سيحدث لو انهار السقف من هول الامطار وشدتها..

وشعرت بألم الخوف يسري في معدتها ووضعت يدها تتحسس موضع الالم وفي تلك اللحظة شعرت انها تريد الاحتفاظ بالطفل الذي

تحمله في بطنها... ابن سباستيان.

واسرعت في سيرها وهي تتخبط في طريقها وتتعثر بالسلالم... وجالت بنظرها عسى ان تعثر على ليزا... وفعلا وجدتها جالسة على الارض في الزاوية البعيدة من القبو وقد غسلت الدموع وجنتاها.

– «ليزا!»

– «جيسيكا... لااستطيع الوقوف على قدمي فقد سقطت والتوى كاحلي... وظننت سابقى حبيسة هذا المكان للابد.»

– «هوني عليك ياعزيزتي... كل شيء سيكون على ما يرام... دعيني ارى كاحلك!»

ومررت يدها على ساق ليزا بلطف واكتشفت ان الامر لايعدو التواء بسيطا وليس كسرا... وقالت:

– «امسكي برقبتي جيدا اذ سأحملك.. وقد تتألمين قليلا غير اننا سنعود حالا الى المنزل... لقد سببت لنا هلعا عظيما... فالعم سباستيان في طريقه من اشبيلية للبحث عنك».

– «ولكنك عثرت علي الان!» قالت ليزا وهي ممسكة بذراع جيسيكا... وفكرت جيسيكا في المجازفة بحمل ليزا اذ قد يكون رأسها مصابا من اثر السقوط... فهل تتركها لكي تعود مع الاخرين لنجدتها؟

– «لا تدعي العم سباستيان يرسلني الى المدرسة» قالت ليزا متوسلة والدموع تنهمر من عينيها.

– «وهل هذا سبب اختبائك هنا؟.. اي كي لاتذهبين الى المدرسة؟».

– «كلا... فقد اردت التفكير بالامر فقط!»

وفجأة سمعا صوت انهيار اخر فوق رأسهما..

www.rewity.com

– «انه الرعد!» قالت جيسيكا والخوف يملاء قلبها خاصة عندما شاهدت الشق الكبير في سقف القبو... حيث بدأت اجزاء من السقف تتساقط والمصباح يتراقص من شدة الاهتزاز... وفجأة خيم الظلام... وبدأت جيسيكا تسمع اصواتا غريبة لم تعهدها من قبل... تداعي الجدران.... وتساقط الحجارة من السقف وتناثرها، وخرير المياه من شقوق الجدران المتهاوية وغيرها... فلا يسعها ترك ليزا بمفردها بعد الآن... والحقيقة ان كليهما في خطر اذ ان السقف سيطبق عليهما في اية لحظة..

– «يجب ان نغادر هذا المكان حالا» قالت جيسيكا.

– «بالتاكيد اذ ان السقف على وشك الانهيار اليس كذلك!».

– «تمسكي بي جيدا... وهيا بنا..»

واخذت جيسيكا تتلمس طريقها وسط الظلام الدامس.. وفضلت السير بمحاذاة الجدار تفاديا من الاحجار المتساقطة من السقف.. وسارت ببطء وهي تحمل ليزا بين ذراعيها.. وتحرص على أن لاتؤلم كاحلها.. وضمت رأسها مع رأس ليزا حين تساقط المزيد من الاتربة ولاحجار والماء من الشق الكبير في السقف.. وتنهدت جيسيكا حين وطأت قدماها أول السلالم وكان جسمها يرتجف خوفاً وهلعاً الى أن اصبحت قرب باب القبو... وبحثت بيدها عن الترباس في الظلام.. وأمسكت به بقوة وسحبته نحوها.. غير أن الباب لم ينفتح... وحاولت ثانية دون جدوى...

–«لابد وان شيئاً يحول دون فتحه!». تمتمت ليزا بخوف. «ماذا سنفعل!».

–«سنجلس هنا بانتظار من يمر من هذا الطريق ليفتح لنا الباب» قالت جيسيكا وهي تحاول أن تبدو هادئة الاعصاب.

–«ولكن لايعلم أحد بوجودنا هنا!».

انها الحقيقة المرعبة.. غير ان جيسيكا تعلم انهما في خطر ولا أحد يعرف مكانهما.. وقالت وهي تعلم أنها تكذب:

–«كلا.. انهم يعلمون سرّ هذا المكان.. فقد أخبرت جورج والآخرين به.».

–«أن العم سباستيان يعلم سره أيضاً» قالت ليزا.

اذاً فان سباستيان قد يبحث عنهما هنا.. ولكن هل يهمه أمرهما؟ ربما سيلاحظون انهيار السقف.. ولكن من سيعلم أنهما في القبو تحت الانقاض!.

وتمنت جيسيكا أن تصرخ بأعلى صوتها.. غير أنها لم تشأ أن تزيد من مخاوف ليزا.

وسمعت جيسيكا صوت ارتجاف أسنان ليزا من شدة البرد والخوف.. وخلعت معطفها ووضعته حول جسدها... ومر الوقت بطيئاً وخيم الصمت عليهما عدا أصوات تداعي الجدران وأنهيار البعض منها...

وانفجرت ليزا باكية. «سندفن هنا الى الآبد.. لن نجد مخرجاً أبداً.».

–«بالتأكيد سنعثر على طريق للخروج من هنا.. حسنٌ.. سأحكي لك حكاية....».

وبدأت باختلاق شخصيات خيالية وأحداث وهمية.. غير أنها لم تجذب انتباه ليزا اليها..

–«توقفي ياجيسيكا.. أظن أني أسمع شيئاً!». قالت ليزا.

www.rewity.com

عندما اقتربت من الاصطبلات ان السقف لم يعد يتحمل ثقل مياه الامطار فوقه... وعندما اقتربت منها شاهدت الماء ينضح من بعض الشقوق في السقف.... وواسرعت نحو باب القبو الذي تتخذه ليزا مخبأ سريا لها... وصرخت باعلى صوتها منادية «ليزا... ليزا!» وظنت انها سمعت صوتا خافتا يجيبها... وفجأة دوى صوت الرعد وكأنه يرتطم بالسقف المتداعي فوق رأسها.

ولم تبالِ بالماء الذي بدأ ينهمر من جدران القبو القديمة والمتآكلة وكان يوجد مصباح صغير يبعث بنور خافت ليضيء جزءا من السلالم تحت قدميها... ووقفت حائرة فيما تفعل.... فهل تعود طلبا للنجدة وتخبر الجميع ان ليزا قد تكون خائفة او مصابة في اسفل القبو... وكانت على وشك العودة حينما سمعت صوتا خافتا ينبعث من داخل القبو.... وانصتت واذا به صوت ليزا... اذاً فهي حقا هناك...

وصاحت: «لاتقلقي ياليزا... سأنزل لنجدتك».

وحالما وطأت قدماها ارض القبو سمعت صوتا مدويا اشبه بصوت انهيار... واقنعت نفسها انه صوت الرعد... ولكنها خشيت في قرارة نفسها ان ما حصل هو اسوأ من الرعد... فالصوت اشبه بدوي الانهيارات الجليدية التي شاهدتها في التلفزيون... ولكن لايوجد جليد في هذه المنطقة من اسبانيا... لايوجد سوى المياه... وتذكرت السقف المتداعي من وطأة المياه وثقلها... ولم ترد التفكير عما سيحدث لو انهار السقف من هول الامطار وشدتها..

وشعرت بألم الخوف يسري في معدتها ووضعت يدها تتحسس موضع الالم وفي تلك اللحظة شعرت انها تريد الاحتفاظ بالطفل الذي

تحمله في بطنها... ابن سباستيان.

واسرعت في سيرها وهي تتخبط في طريقها وتتعثر بالسلالم... وجالت بنظرها عسى ان تعثر على ليزا... وفعلا وجدتها جالسة على الارض في الزاوية البعيدة من القبو وقد غسلت الدموع وجنتاها.

– «ليزا!»

– «جيسيكا... لااستطيع الوقوف على قدمي فقد سقطت والتوى كاحلي... وظننت سابقى حبيسة هذا المكان للابد.»

– «هوني عليك ياعزيزتي... كل شيء سيكون على ما يرام... دعيني ارى كاحلك!»

ومررت يدها على ساق ليزا بلطف واكتشفت ان الامر لايعدو التواء بسيطا وليس كسرا... وقالت:

– «امسكي برقبتي جيدا اذ سأحملك.. وقد تتألمين قليلا غير اننا سنعود حالا الى المنزل... لقد سببت لنا هلعا عظيما... فالعم سباستيان في طريقه من اشبيلية للبحث عنك».

– «ولكنك عثرت علي الان!» قالت ليزا وهي ممسكة بذراع جيسيكا... وفكرت جيسيكا في المجازفة بحمل ليزا اذ قد يكون رأسها مصابا من اثر السقوط... فهل تتركها لكي تعود مع الاخرين لنجدتها؟

– «لا تدعي العم سباستيان يرسلني الى المدرسة» قالت ليزا متوسلة والدموع تنهمر من عينيها.

– «وهل هذا سبب اختبائك هنا؟.. اي كي لاتذهبين الى المدرسة؟».

– «كلا... فقد اردت التفكير بالامر فقط!»

وفجأة سمعا صوت انهيار اخر فوق رأسهما..

www.rewity.com

– «انه الرعد!» قالت جيسيكا والخوف يملاء قلبها خاصة عندما شاهدت الشق الكبير في سقف القبو... حيث بدأت اجزاء من السقف تتساقط والمصباح يتراقص من شدة الاهتزاز... وفجأة خيم الظلام... وبدأت جيسيكا تسمع اصواتا غريبة لم تعهدها من قبل... تداعي الجدران.... وتساقط الحجارة من السقف وتناثرها، وخرير المياه من شقوق الجدران المتهاوية وغيرها... فلا يسعها ترك ليزا بمفردها بعد الآن... والحقيقة ان كليهما في خطر اذ ان السقف سيطبق عليهما في اية لحظة..

– «يجب ان نغادر هذا المكان حالا» قالت جيسيكا.

– «بالتاكيد اذ ان السقف على وشك الانهيار اليس كذلك!».

– «تمسكي بي جيدا... وهيا بنا..»

واخذت جيسيكا تتلمس طريقها وسط الظلام الدامس.. وفضلت السير بمحاذاة الجدار تفاديا من الاحجار المتساقطة من السقف.. وسارت ببطء وهي تحمل ليزا بين ذراعيها.. وتحرص على أن لاتؤلم كاحلها.. وضمت رأسها مع رأس ليزا حين تساقط المزيد من الاتربة ولاحجار والماء من الشق الكبير في السقف.. وتنهدت جيسيكا حين وطأت قدماها أول السلالم وكان جسمها يرتجف خوفاً وهلعاً الى أن اصبحت قرب باب القبو... وبحثت بيدها عن الترباس في الظلام.. وأمسكت به بقوة وسحبته نحوها.. غير أن الباب لم ينفتح... وحاولت ثانية دون جدوى...

–«لابد وان شيئاً يحول دون فتحه!». تمتمت ليزا بخوف. «ماذا سنفعل!».

–«سنجلس هنا بانتظار من يمر من هذا الطريق ليفتح لنا الباب» قالت جيسيكا وهي تحاول أن تبدو هادئة الاعصاب.

–«ولكن لايعلم أحد بوجودنا هنا!».

انها الحقيقة المرعبة.. غير ان جيسيكا تعلم انهما في خطر ولا أحد يعرف مكانهما.. وقالت وهي تعلم أنها تكذب:

–«كلا.. انهم يعلمون سرّ هذا المكان.. فقد أخبرت جورج والآخرين به.».

–«أن العم سباستيان يعلم سره أيضاً» قالت ليزا.

اذاً فان سباستيان قد يبحث عنهما هنا.. ولكن هل يهمه أمرهما؟ ربما سيلاحظون انهيار السقف.. ولكن من سيعلم أنهما في القبو تحت الانقاض!.

وتمنت جيسيكا أن تصرخ بأعلى صوتها.. غير أنها لم تشأ أن تزيد من مخاوف ليزا.

وسمعت جيسيكا صوت ارتجاف أسنان ليزا من شدة البرد والخوف.. وخلعت معطفها ووضعته حول جسدها... ومر الوقت بطيئاً وخيم الصمت عليهما عدا أصوات تداعي الجدران وأنهيار البعض منها...

وانفجرت ليزا باكية. «سندفن هنا الى الآبد.. لن نجد مخرجاً أبداً.».

–«بالتأكيد سنعثر على طريق للخروج من هنا.. حسنٌ.. سأحكي لك حكاية....».

وبدأت باختلاق شخصيات خيالية وأحداث وهمية.. غير أنها لم تجذب انتباه ليزا اليها..

–«توقفي ياجيسيكا.. أظن أني أسمع شيئاً!». قالت ليزا.

www.rewity.com

واطرقت جيسيكا صاغية.. وكأنها سمعت صوتاً خافتاً يختلف عن صوت الانهيارات.

-«يجب أن نصرخ لكي يسمعونا». قالت ليزا.

-«كلا! سنطرق على الباب». أجابت جيسيكا.. إذ أن الصراخ قد يولد صدىً مما يؤدي الى أنهيار ماتبقى من السقف.

واطرقت جيسيكا طرقاً خفيفاً على الباب.. غير أنها لم تسمع جواباً من الجانب الآخر.. وظنت أنها قد خيل اليها أن أحداً مرّ من الجوار..

-«لنواصل الطرق على الباب». ردت جيسيكا وهي تحاول زرع الأمل في قلب ليزا رغم أن رسغها بدأ يؤلمها من شدة الطرق ولأنها كانت تحمل ليزا باليد الآخرى.. وأخيراً سمعت صوتاً خافتاً.. ولكي تتأكد من وجود أحد هناك... طرقت مرتين وجاء الجواب مماثلاً.. أذاً لابد وأن يكون هناك من علم بوجودهما في أسفل القبو.. وأدمعت عيناها من الفرح.. فقد اصبح الصوت أكثر وضوحاً في الوقت الذي انهار الجزء الأكبر من السقف.. وكان الأمر بالنسبة لها كالصراع بين الحياة والموت.. وتساقطت الاحجار على قدمها وظهرها غير أنها لم تشعر بالألم أذ أنها لم تعد تشعر بشيء من شدة البرد.

-«كم سيستغرق الأمر.. اني أتجمد من البرد ياجيسيكا».

-«حالاً ياعزيزتي».

ولم تستطع جيسيكا النظر الى الأعلى حيث ان الركام المتساقط من السقف حال دون ذلك.. وسمعت أصواتاً تنبعث من الناحية الأخرى... ولابد أنهم يحاولون كسر الباب من الجهة الثانية.. ثم استطاعت أن ترى بصيصاً من النور يأتي من خلال شق في الباب.. بعد ذلك توسع الشق

وسمعت صوت سباستيان ينادي -«جيسيكا... جيسيكا... أين أنت؟».

-«نحن هنا.. في اعلى السلم». ردت جيسيكا وهي تضم ليزا الى صدرها بقوة.

-«إستمعي جيداً.. لقد أنهار السقف.. والباب موصدة.. وسنقوم بعمل فتحة في الباب لكي تخرجا منها.. وانتبها جيداً.. لاتتحركا من مكانكما.. أذ أن أية حركة قد تسبب أنهيار السلم بكامله تحت اقدامكما..

-«لقد سقطت ليزا والتوى كاحلها». قالت جيسيكا.

وبعد قليل شاهدت النور يدخل الى أسفل القبو من الفتحة في الباب وميزّت وجه ليزا.. وأدركت الخطر المحدق بهما اذ لم يتبق من السلم غير السلالم الأخيرة منه.. فقد تهاوى كل شيء وبدت أرض القبو وكأنها بئر عميقه ومظلمة مليئة بالأنقاض وقالت جيسيكا:

-«خذ ليزا أولاً.» وحملتها الى الأعلى ليتناولها سباستيان..

-«أسرع ياسباستيان... سينهار المكان برمته.. أسرع.» قال جورج من بعيد وعلمت جيسيكا ان سباستيان قد جازف بالهبوط اليهما بمفرده.

وحالما خرجت ليزا من الفتحة الصغيرة ضمّها سباستيان الى صدره وأستدار عائداً الى حيث الآخرين تاركاً جيسيكا بمفردها..

وشعرت جيسيكا عندما أبتعد سباستيان عنها بالظلام والرعب وانتابها الفزع لكونها معلّقة بين السماء والأرض في هذا القبو المرعب... وحاولت جاهدة أن تتمسك بأطراف الباب كي لاتهوي الى الأسفل.. وشاهدت بقية السلالم تتهاوى الواحدة تلو الأخرى تحت أقدامها.. واضطرت الى التشبث بقوة بما حولها.. وهنا سمعت سباستيان مرة أخرى

www.rewity.com

يقول:

-«لاتفزعي ياجيسيكا.. جئت لنجدتك». وأمسك بها من يدها وانتشلها من وراء الباب اللعين وأخرجها من المكان الذي كاد أن يكون قبرها.. وعند ذاك أدركت جيسيكا المخاطر التي تعرض لها سباستيان وهو يحاول الوصول اليها.. فقد إنهارت جميع الأبنية المحيطة بالمكان محدثة شقاً كبيراً في الأرض على شكل إخدود وشاهدت السلالم التي كانت تقف عليها تبتلعها الأرض.

-«انه المطر» قال جورج الذي كان يقف جوار المسيور الفاريز وهو يحمل ليزا بين ذراعيه وقد أبتلت ملابسهم جميعاً.

ولم تجد جيسيكا أجمل من المطر وهو يغسل جسدها في الوقت الذي ابتلعت الأرض الاصطبلات والابنية المجاورة برمتها.

-«لو لم يتذكر سباستيان مخبأ ليزا السري لما عثرنا عليكما».

قال المسيور الفاريز بجدية وهم يسرعون عائدين الى المنزل. «انها حقاً لمعجزة.. أن يأتي لنجدتكما في الوقت المناسب».

وعند وصولهم الى المنزل كانت العمة صوفيا بأنتظارهم والقلق باد عليها.

-«لقد التوت ساق ليزا». قال جورج. «إستدعي طبيباً..».

-«حالاً.. وقبل كل شيء لنأخذهما الى غرفتيهما لتغيرا ملابسها المبتلة.. خذ ليزا الى غرفتها وأنا....».

واعترضت ليزا وطلبت ان تساعدها جيسيكا في ذلك.. وتدخل سباستيان قائلاً: «أصحبي ليزا ياصوفيا وسأرافق جيسيكا».

وأرادت جيسيكا أن تعترض وتخبره أنها لاتمتلك القوة لتحمل يداه

على جسمها الواهن... وعلى أية حال فقد رافقها الى غرفة لم يسبق لـ أن دخلتها... وهي جزء من شقة كاملة وقال:

-«لابد وانك تفضلين البقاء لوحدك.. فقد كانت هذه غرفة أمي ويشاركها فيها أبي.. وقد حدثت نفسي في السابق عن مشاركة زوجتي لي في سريري لو تزوجت.. وكما تعلمين.. أحياناً..». وتوقف عن الكلام «أسف بشان الطفل.. فلم تكن نيتي ذلك».

وألقى بها على السرير واتجه صوب الحمام وعاد بعد ثوان حاملاً منشفة وقطعة من الاسفنج وقال:

-«لقد أخبرتني العمة صوفيا بقلقها بشأنك وأرادت أن أعلم بالأمر».

-«قد تكون على خطأ». ردت جيسيكا وهي تتألم لأنه يريدها ولايريد طفلها.

-«ربما». أجاب سباستيان دون إقتناع. «هلمي لأزيل عن جسمك الأوحال وسأتركك بسلام لترتاحي قليلاً».

وأحست جيسيكا وكأنها في سن ليزا حين بدأ سباستيان بازالة الأوحال عنها... فالدفء في الغرفة جعلها تميل الى النوم بعيداً عن البرد والرعب الذي تعرضت لها في ذلك القبو الكئيب.

-«لقد كنت محظوظة هذا اليوم». قال سباستيان وكأنه يتمنى لو أنها لم تنج من مأزقها.

-«من حسن حظنا انك علمت بالمخبأ السري».

وبدا وكأنه يريد أن يقول شيئاً غير أنه تردد وبدأ بتجفيف جسدها المبتل. وشعرت جيسيكا بالحاجة الى أن يكون قربها.. ولكن ما الفائدة؟ فهو لايرغب فيها ولايريد الطفل.. وربما يتمنى لو أنه لم يتزوجها أبداً.

www.rewity.com

كانت جيسيكا مستغرقة في نومها حين وصل الطبيب ترافقه العمة صوفيا، وليس سباستيان.. وقام بفحصها كاملاً وقال مبتسماً أنها كانت سيدة شجاعة وهنأها بالنجاة وقال:

-«من حسن الحظ أنك في الاسابيع الاولى من الحمل والآ...».

اذاً ان الأمر صحيح! فهي تحمل طفل سباستيان.. وبكت، وتمنت لو أن الأمور سارت بشكل آخر.. وطلبت بعض الأقراص المنومة لكي تقضي ليلتها بهدوء.. وحين استفاقت كان نور الشمس يتراقص أمام عينيها في غرفتها.. غرفتها؟ ولكن لماذا تركها سباستيان فيها لوحدها؟ هل بسبب ذنب أقترفته دون أن تعلم؟ ربما لأنه لم يعد يطيق وجودها معه في غرفته وعلى سريره!

وقد تثير مسألة كونها حاملاً لديه ذكريات قديمة عن مانويلا... ولكنه نكث بحبه لها بتخليه عن أبنته.. فذلك عمل جبان لرجل شجاع مثله.. فهو لم يتردد عن تعريض حياته للخطر في سبيل أنقاذ حياتها وحياة ليزا.

مكثت جيسيكا في سريرها بضعة أيام حسب أرشادات الطبيب... وشعرت بالأيام تمر متثاقلة وبطيئة.. وأخبرتها العمة أن جورج ولويزا يودان زيارتها.

-«ماذا عن سباستيان؟» سألت جيسيكا.

-«إضطر للذهاب الى إشبيليه لقضاء بعض الأعمال وسيزورك بعد عودته.. لا تنفعلي ياجيسيكا.. فكري بالطفل الذي تحمليه.. فهو الذي يمنحك الأمل».

وبعد الظهر وعندما كانت جيسيكا راقدة في سريرها، دخلت عليها

بلار.. وكعادتها كانت ترتدي ملابس باهضة الثمن والزينة تعلو وجهها.

-«أنك مستيقظة.. هذا رائع.». قالت بلار مبتسمة. «هل تتحدث قليلاً؟».

-«عم تتحدث؟» سألت جيسيكا بقلق.

-«عن سباستيان بالطبع». ردت بلار. «وعن ظنك أنك تستطيعين الاحتفاظ به.. فقد تزوجك شفقة عليك ولكي يعوض ماسببه لك من أضرار ولابد وأن تفهمي ذلك.. وأن ظننت انك تملكين مفتاح قلبه لانك تحملين طفله فانت مخطئة.. فان قلبه...».

-«ملك لشقيقتك.. أعلم ذلك». قالت جيسيكا «غير اني زوجته يابلار وسأحافظ على طفله!».

-«زوجته؟ كيف؟ وأنتما في غرفتين منفصلتين! صحيح انت تحملين طفله، غير ان الرجال يحصلون على الاطفال بسهوله.. ولايمكنك الاحتفاظ به لهذا السبب. ومن الافضل لكِ أن ترحلي قبل أن يطلب منك ذلك.. ومن الواضح أنه لا يريدك هنا، وأن زواجكما كان غلطة منذ البداية.. ان سباستيان لايريدك.. واذا كان العكس.. فلماذا يبقيك في غرفة منفصلة اذاً؟ أن سباستيان رجل عاقل وعاطفي ولايضعك في غرفة غير غرفته دون أن يعني شيئاً.. سأتركك الآن.. وفكري بالأمر جيداً وبسرعة.. وستدركين اني أقول الحقيقة».

وغادرت الغرفة دون أن تتمكن جيسيكا من الرد عليها... فقد بدأت تشعر أن بلار لم تقل سوى الحقيقة وان كبرياءها لن يسمح لها بالبقاء هنا.. وأنها مضطرة للرحيل.

www.rewity.com

(الفصل العاشر)

–«هل تشعرين بتحسن ياجيسيكا؟ فالعمة صوفيا تقول انت قادرة الآن على استقبال الضيوف.. وسوف لن أطيل الزيارة.». قال جورج مبتسماً.

–«كيف حال ليزا؟» سألت جيسيكا.

–«انها تتعافى أسرع منك فالدكتور بارتولو أخبر سباستيان أنه لولا معطفك ولو لم تضميها الى صدرك عندما كنتما حبيستان القبو لساءت حالتها كثيراً.. فانها تعاني من ضعف في صدرها.. فقد ورثته عن أمها، واذا ما أصابها برد فانها تتعرض الى مضاعفات خطيرة.. .. ومن ناحية أخرى فالدكتور قلق بشأنك ويقول إنك شاحبة جداً.. والحقيقة انك فعلاً شاحبة اللون؟».

–«أنا متعبة قليلاً.. كيف حال الآخرين.. السنيور الفاريز ولويزا؟».

–«بخير.. ولكن زيارتهم لنا ستنتهي قريباً وقد دعاني السنيور الفاريز لزيارتهم في الأرجنتين وبالطبع فكل شيء يتوقف على موافقة سباستيان».

–«هل أخبرته بميلك نحو لويزا؟».

هز جورج رأسة بالنفي وقال:

–«لم يسبق لي أن شاهدته بهذه الحالة.. ولا أدري ما الذي أصابه؟».

أن جيسيكا تعلم بماجرى له، فهو يئن من القيود التي فرضها الزواج... اذاً ان بلار كانت محقة في حديثها.. فمن الأفضل لها أن ترحل.

وكان جورج يحدثها عن رغبته في زيارة الأرجنتين حين فتح الباب

ودخل سباستيان وقد بدا عليه الأرهاق والتعب.. وربما الغضب أيضاً.

–«سأعود لزيارتك مرة ثانية». قال جورج وهو يرى الغضب في عيني شقيقه.

–«ماذا كان يفعل هنا؟» سأل سباستيان بعصبية. «المفروض أن تنالي قسطاً كبيراً من الراحة.».

–«جاء لزيارتي!».

–«وهل يجب أن يجلس على سريرك؟» سأل سباستيان بحدّة لم تستطع جيسيكا أن تجد مبرراً لها.

–«كان يخبرني أن السنيور الفاريز دعاه لزيارته في الأرجنتين ورغبته في تلبية الدعوة وأظن أنه أرادني أن أطلعك بالأمر.».

–«أخبرني الدكتور بارتولو أن صحتك لاتتحسن كما كان مؤملاً». قال سباستيان بلهجة أقل حدة. «ويعتقد أن تغيير المكان يناسبك... ربما زيارة عائلتك مثلاً».

وأحست جيسيكا أن صدرها قد ضاق الى حد الأختناق.. أذاً أن الأمر حقيقة... فهو يريد التخلص منها.. وأشاحت بوجهها بعيداً لتتفادى نظراته ولكي لايرى الألم في عينيها.

–«يالهي.. هل فاتك أن تخبري الجميع بالمكان الذي قصدتيه عند البحث عن ليزا؟ فلو لم أفكر بالأمر خلال عودتي من إشبيليه ولو لم أتذكر مخبأ ليزا السري لكانت النهاية لكليكما».

–«وهل سيهمك الأمر حينذاك ؟». قالت جيسيكا بمرارة. «أبنتك الوحيدة... وتريد ابعادها عن حياتك وارسالها الى دير بعيد وليس حتى الى دير قريب من المنزل! أريدك أن تخبر بلار والتي تكره ليزا رغم أنها

www.rewity.com

خالتها.. إن ذلك لن يحدث لطفلي.. مسكينه ليزا! والجميع يعلمون انها أبتك عداها.. فكيف ستخفي الحقيقة عنها للأبد! هل فكرت بالألم والمرارة التي ستصيبها حين تعلم بالحقيقة وربما في وقت يسبب لها أذى نفسياً كبيراً؟».

- «ليزا... أبنتي؟» قال سباستيان مقطباً حاجبيه. «ماذا تقولين؟ أنها ليست إبنتي».

- «أعلم أنها الرواية الوحيدة التي تحتفظ بها لنفسك... ولكن ما سمعته من لآخرين يختلف عن روايتك كثيراً.. فانها ابنة مانويلا، أليس كذلك؟».

- «من قال لك ذلك؟».

- «أنا...» ولم تستطع أكمال عبارتها وهي ترى غضبه ينهش في جسدها.

- «لايهم.. فقد صدقت القصة التي رواها لك أحدهم.. فهل يهون عليّ تمريغ سمعة الفتاة التي تزوجتها بالوحل... وهي عذراء؟».

«أنا لا أتحدث عن ذلك ياسباستيان بل عن الحب بينك وبينها.. فلا غرابة في الامر».

- «ياالهي انت تتحدثين كما لو كنت تسردين قصة خرافية... رغم ان ما تقوليه صحيحاً والواقع ان مانويلا رزقت بطفلة.. وهي ليزا.. ولكنها ليست ابنتي.. ربما لاتصدقيني! أوكد لك انها الحقيقة ولايعلمها سواي وسوى بلار.. الأفضل أن أروي القصة لك بكاملها لكي لاتطلقي مثل هذه الاتهامات الهستيرية حول عدم حبي لطفلتي....

كانت عائلتي على علاقة طيبه دائماً مع عائلة مانويلا ولأجيال عديدة.. ونشأت فكرة زواجنا معنا رغم أن العلاقة كانت أخوية.. وعندما بلغت مانويلا السابعة عشر من عمرها أخبرني والدها بصورة

سرية عن تغيير مفاجيء في سلوكها وطباعها.. فكانت تثور بسرعة وتبكي أحياناً أو تعصف بها العواصف الى حد الانفجار.. وتقرر حينذاك أن تسافر الى أمريكا الجنوبية لقضاء بعض الوقت مع أقاربنا هناك.. واعتقد والدها ان السفر سيعود عليها بالنفع..

وبعدما سافرت بدأنا الاستعدادات للزواج.. وكان من المقرر ان تعود الى إسبانيا قبل أسبوعين من موعد حفلة الزفاف.. وعلمت من بلار ان عودتها مبكراً ستضر بحالتها الصحية.. وكانت بلار متزوجة حينذاك ولم تكن تعلم بسوء حالة مانويلا الصحية.

وعند عودتها بعد ثمانية أشهر لم أستطع التعرف عليها.. لقد إستقبلتها في المطار وكانت ترتدي السواد، ويبدو عليها الشحوب ورفضت ان تراني عندما زرتها في منزلها. وفسرّت لي أمها الأمر على انه حالة طبيعية للفتيات قبل الزفاف.

وقبل اسبوع من زواجنا تلقيت مكالمة هاتفية من المستشفى في إشبيليه.. فقد أصيبت في حادث سيارة وطلبت رؤيتي.. ولم يخبروني بمدى الاصابه ومكانها وعندما وصلت المستشفى قالوا أنها لن تعيش طويلاً.. وقالوا أيضاً انها حامل في الشهر السابع ولأنهم يعلمون بعلاقتنا فقد ظنوا أن الطفل مني وطلبوا إذناً بالأبقاء على حياته رغم أنهم لم يوفقوا في أنقاذ حياتها.

واتصلت بأمها وأبيها بالهاتف، ورفضا المجيء الى المستشفى لشعورهما بالعار من ابنتهما.. ولا أدري كيف توقعوا أن يمر الأمر بسلام دون أن تنجلي الحقيقة.. ويبدو أنهم ظنوا أن زواجي منها سيحل المشكلة.

لم أعلم ما أفعل... واستعادت مانويلا وعيها.. وأخبرتني أن عشيقها

www.rewity.com

كان رجلا التقت به في الأرجنتين وأحبته بجنون.. وعلمت أنها ستموت وتوسلت أن أغفر لها قبل موتها، وطلبت أن أنقذ حياة الطفلة وأرعاها... وعلمت أيضاً أن عشيقها كان متزوجاً وأنه أخفى الأمر عليها..

ومكثت بجانبها حتى فارقت الحياة... أي بعد أن ولدت ليزا ولاأنسى نظراتها الى طفلتها قبل وفاتها.. وتعهدت أن أرعى الطفلة واعتبرها كابنتي لأن الجميع يظنون ذلك.

-«أنا آسفة جداً..». قالت جيسيكا بهمس. «لم ينبغي على أن ... لابد وانك أحببت مانويلا كثيراً».

-«أحببتها؟ كأخ لها.. نعم .. وليس كعشيق.. واعتقد اني مسرور لأننا لم نتزوج... فالذنب رغم كل شيء ليس ذنبها... وأنما هذه نتيجة حتمية للزواج من ابنة العم... وعلى أية حال فقد أتعبتك بهذه القصة... وأن الدكتور بارتولو يؤكد على راحتك».

ارادت جيسيكا ان تخبره أنها ليست متعبة، وانها تتمنى ان يمكث قربها.. غير أنها تعلم ان ذلك ليس ممكناً...فلم يتحدث قط خلال وجوده معها عن زواجها وظنت انه نادم على زواجه منها كما قالت بلار سابقاً.

اذ أن بلار جعلتها تعتقد أنه مازال يحب مانويلا وقد كذبت بشأن ليزا... ولكن لماذا لم تتزوج بلار؟ ربما لانها ضعيفة الشخصية مثل مانويلا.. وأن جيسيكا تعلم جيداً أن بلار تطمح في الزواج منه الى درجة الجنون.

وبعد مضي يومين أعلن الدكتور بارتولو أن جيسيكا قد شفيت تماماً ويمكنها مغادرة فراشها... واستقبلها سباستيان بكل أدب ورقة.. وتحدثا سوية عن المعمل والتصاميم... وكان حديثه مؤدباً الى درجة أنه مزق قلبها

من الالم... فلم تعد تطيق البقاء في المنزل خاصة بعد خروج الجميع من الغرفة.. فسباستيان في مزرعة الكروم... والعمة صوفيا كانت في زيارة مع ليزا، وجورج بصحبة السنيور الفاريز في جولة في المدينة.

وخلال تناول الطعام قال سباستيان شيئاً عن رحلتها الى لندن.. وقد دهشت العمة حين سمعت بنبأ الزيارة... أما جيسيكا فقد حاولت بكل قوة أن تخفي ألمها ومرارتها لأن سباستيان متلهف على التخلص منها. خلال الحديث لم يتطرق الى الطفل فقد اكد لهم الطبيب بارتولو أنها حامل، غير أن سباستيان بدا متجهماً عند سماعه النبأ.

وحان موعد رحيلها وعلمت أن سباستيان سيحاول أن يرغمها على الرحيل ولكن بصورة غير مباشرة إذ سيدعي أنها ستغادر لقضاء الاجازة غير أن كليهما يعلم أنها رحلة اللاعودة...

وفكرت ملياً في حزم حقائبها اذ أن الكثير من ملابسها وحاجاتها مازالي في غرفة سباستيان وبدأت باخراج الملابس من الخزانات ووضعتهم على السرير.. وفجأة فتح الباب.. وازدادت ضربات قلبها خشية أن يكون القادم سباستيان.. فلم يكن سباستيان وانما بلار...وقد اعتراها الغضب، وقالت:

-«هل مازلت هنا؟ أظن انني أخبرتك أن سباستيان لايريدك.. غير أن الخادمة قالت أنك في غرفته».

وكانت جيسيكا على وشك أن تخبرها سبب دخولها الغرفة غير أنها عدلت عن ذلك وقالت بصوت غاضب:

-«أنا زوجته يابلار، ولي مطلق الحق في مشاركته غرفته اذا ما شئت!».

-«أنه لايريدك». ردت بلار. «ويجب أن تدركي ذلك.. فقد حرم

www.rewity.com

سباستيان نفسه الحق في مشاركتك سريرك وجسدك كما كان يفعل خلال الاسابيع الماضية.».

واعترفت جيسيكا أن بلار مصيبة في قولها غير أنها ردت عليها قائلة:

-«أنه يفعل ذلك من أجلي ومن أجل طفلنا... وأنه يعلم أني...».

-«أنك تحملين طفله؟».

وأحست جيسيكا أنها قد أثارت حفيظة بلار وجعلتها تبدو كالوحش المزمجر وبدت أظافرها الطويلة المعقوفة وكأنها مخالب تريد أن تنهش جسد جسيكا وتمزقه.

-«طوال هذه السنين وانا أنتظر أن يلتفت الي.. طوال هذه السنوات من الأنتظار والترقب والأمل في أن يتزوج ليصون أسمه.. وكان على وشك أن يكون لي، الى أن جئت أنت! ولكنه سيكون لي في النهاية.. فقد ظننت مانويلا أنها تستطيع سلبه مني ونالت عقابها على ذلك.. ولن أدعك ولا طفلك أن تتدخلي بيني وبين ما هو ملكي».

وكانت بلار كالمجنونة... فقد تقوست يداها وتطاير الشرر من عينيها وكادت جيسيكا أن تشعر بمخالبها تمسك برقبتها وتخنقها... فاندفعت نحو زاوية الغرفة... ولو لم يكن ذلك صواباً... وكانت بلار تطاردها بعينيها المحملقتين، ودر ١٠ ممتدان نحو جيسيكا لتمسك بها وأطلقت ضحكات هستيرية رنت لها جدران فة... وفجأة انفتح الباب واذا بسباستيان واقف وقد علق جاكيته على كتفه وأزرار قميصه العليا مفتوحة وبدا عليه التحول والتعب وتغيرت معالم وجهة وهو يدخل الغرفة وصرخ.

-«بلار! ماذا تفعلين؟». وامسك بذراعها وجرّها نحوه ثم الى الباب ونادى على الآخرين.

وجاء الكتور بارتولو مسرعاً إذ أصابته الصدمة عندما شاهد بلار ونظرات الاجرام في عينيها... وقال بكل أسى:-«دعها لي ياسباستيان.. فقد خشيت منذ مدة طويلة أن....».

وتوقف حين شاهد جيسيكا على وشك أن تفقد وعيها.. غير أنها تمالكت أعصابها وقالت:

-«أنا بخير. انه مجرد دوار بسيط».

-«تريد أن تأخذك مني ياسباستيان». صرخت بلار «وأخبرتها انك ملكي وأنا....».

-«تعالي معي يابلار». قال الدكتور هامساً في أذن سباستيان. «انها بحاجة الى علاج خاص.. فقد أقلقني سلوكها منذ مدة طويلة واعرف مستشفى خاص لمثل هذه الحالات... فان عواطفها نحوك دفعتها نحو الجنون.».

وأقتادها الدكتور بارتولو الى خارج الغرفة في الوقت التي كانت جيسيكا تقاوم نوبة أخرى من الدوار الشديد... فلم تعد تقوى على الوقوف على قدميها وعندما تقدم سباستيان نحوها.. دفعته عنها وأبتعدت عنه وكأن رعباً أصابها...

-«أسف لذلك». قال سباستيان وهو يهم بمغادرة الغرفة. «كان عليّ أن أحذرك من بلار. كانت تبدو وكأنها شفيت تماماً فقد عانت من نوبتين مماثلتين في السابق.. وكانت تقنع نفسها أنها مجنونة بحب ضحيتها... وأنا اسف لتورطك في الأمر».

واستدار ليخرج حين لفتت نظرة كومة الملابس على السرير وقال:

-«ماهذا؟».

-«انها ملابسي». أجابت جيسيكا بهدوء «كنت أخرجها من الخزانة حين

www.rewity.com

حضرت بلار.. واظن ان وجودي في غرفتك أفقدها صوابها.».

-«ولكن ان أردت نقل ملابس من غرفتي الى غرفتك فهذا أمر تقوم به إحدى الخادمات.. ولا حاجة لأن....».

-«أن أغزو غرفتك الخاصة! لاتقلق أبداً فان ذلك لن يحدث مرة ثانيه... أني أهيئ ملابسي لأني سأنقل نفسي من حياتك.. أنا عائدة الى بلدي.».

-«كلا». قالها وهو يعنيها.. وتوجه نحوها وأمسك بها بقوة واحتضنها بين ذراعيه وقال:

-«لا أستطيع أن أطيق اكثر من هذا... لن أدعك ترحلين... أنت تحملين طفلي ولن أسمح لك بالرحيل.».

-«ولكنك تريد رحيلي!». قالت جيسيكا وهي تحس بضربات قلبها ونبضاته فهي لاتريد حتى أن تغادر ذراعيه.. لاتريد الرحيل أبداً... ونظرت الى وجهه وتأملته ملياً...

-«لأني خشيت أن يحدث ما حصل اليوم.».

وأمسك بها بكل قوة مما جعلها تحس بحركة الدم في عروقه وسمعت دقات قلبه... وقلبها، وقال:

-«لن أدعك ترحلين.. أنت ملكي ياجيسيكا.. لي وحدي.. هل تعلمين كم قاسيت عندما أراك تضحكين وتمرحين مع شقيقي وعمتي وجميعهم سواي؟ لا تعلمين كم تمنيت أن تنظري اليّ نظرة حب وحنان.. كم إشتقت أن تحبيني مثلما أحبك.. لابجسدك فقط، بل بقلبك وروحك».

لم تشك جيسيكا أبداً فيما قاله سباستيان.. فنبرات صوته مليئة بالحب والعاطفة الصادقة.

-«هل تحبني حقاً؟» سألت جيسيكا وكأنها تريد دليلاً على ما يقول.

-«هل تشكين في حبي لك؟». أجابها وهو يداعب شعرها المسدول على جبينها وأضاف:

-«أردتك منذ البداية وكرهتك أيضاً...».

-«ظننت انك تحتقرني.. لقد كنت بارداً وغير مبالٍ بشعوري».

-«لأني لم أجرؤ على أن أكون لأمرأة أخرى قبلك.. وكنت أحاول أن أبرر ذلك لنفسي وكل ما تمنيته أن أضمّك الى صدري وأقول لك أن لارجل في العالم يحبك مثلما أحبك.. كرهت جورج لأني أعتقدت أنه عشيقك، عندما قررت البقاء في إشبيليه للألتقاء به... ولا أدري لماذا لايريدك بعد اليوم... وظننت أنه لو شاهدك مرة ثانيه فقد...».

-«وذلك إختلقت حاجتك الى مصممة للأزياء لتنقذه مني». ردت عليه جيسيكا، وأبتسم سباستيان قائلاً:

-«شيء من هذا القبيل... ومجرد أني أردت أن أبعدك عنه وأبقيك بجواري... غير أن كياني أنقلب رأساً على عقب... فلم تكنِ نفس الفتاة التي أحبها جورج... بل فتاة أخرى لا أعرف عنها شيئاً... فتاة قد يكون لها عشيق أو صديق في حياتها... واعطاني جورج السلاح الملائم للكشف عن ماهيتك... وقال أن الناس بدأوا اللغط حول علاقتنا وأنه قلق بشأنك... وعلمت أن عمتي وبلار ينويان الالتقاء بك... ولم أشأ أن يكتشفا أننا كنا كما كنا حينذاك... وأستجبت للفكرة ولا أدري لماذا دخلت غرفتك... وكل ما اتذكره هو أني كنت أريدك... أحبك.... رغم أني لم أشأ الاعتراف بذلك حتى مع نفسي».

-«لكن بعد زواجنا كنت بعيداً عني ...ظننت أنك تكرهني».

www.rewity.com

وامسك بها وقال:

-«لماذا لم تخبريني انك عذراء؟ هل لإنك تريدين عقابي وتعذيبي؟».

ولم تفهم جيسيكا ما يعنيه وقالت:

-«حاولت أن أبوح لك بالحقيقة عندما كنا في السيارة في طريقنا الى المنزل ..غير أنك لم تصغ لي...».

-«ولكني ظننت أنك تحاولين تعذيبي فقط.. واني دفعتك الى زواج لا رغبة لك فيه... كانت رغبتنا مشتركه وأملي أن تتطور هذه الرغبة وتنمو شيئاً فشيئاً.... ولكني كرهت نفسي حينما أدركت أني سلبتك حريتك وحق أختيارك لشريك حياتك بنفسك».

-«كنت بارداً... وبعيداً عني.. وكريهاً أيضاً». همست جيسيكا في أذنه.

-«لانها الطريقة الوحيدة التي أبعدك فيها عني... كنت أريدك واضطررت الى خلق حواجز تحول دون ذلك... أردت أن أركع أمامك وأتوسل اليك أن تغفري لي وتصفحي عني وأن أقبلك واعدك ان لا أمنحك سوى السعادة والطمأنينة».

-«ولكنك تركتني في سريري بمفردي». ردت جيسيكا وهي لاتكاد تصدق سباستيان بحبها حقاً.

-«أنه العذاب ياحبيبتي الذي لا بديل له... فقد كنت مصمماً على أن أطلق سبيلك وأنقذك من قيود الزواج المفروض عليك... ولكن عندما علمت انك تحملين طفلي...».

-«لم تبال بي حتى ظننت انك لاتريده». قالت جيسيكا. «ثم جاءت بلار وقالت أنك تريد رحيلي».

-«ياعزيزتي.. لا أدري كيف أعبر عن مشاعري... وفرحتي لأنك تحملين

طفلي.. ان لي كرامتي وكبريائي كما تزعمين.. وكبريائي لن يسمح لي أن أبقي على زوجتي التي لاتريدني مجرد انها تحمل طفلي».

-«ولكن اذا كانت زوجتك تحبك؟».

-«اذا كانت تحبني فلن أدعها ترحل... عندما علمت أنك كنت في ذلك القبو اللعين.....لوخسرتك لفقدت حياتي كل معنى لها!».

-«لقد جازفت بحياتك من أجلنا.».

-«وهل تظنين أن أدع أي شخص آخر سواي يقترب منك؟ فعندما يتعرض للخطر أغلى شيء لدى الرجل... فلن يثق سوى بنفسه لانقاذه... فعندما طلبت مني أن أنقذ ليزا أولاً.. لاتعلمين كم كلفني ذلك وكم قاسيت لأني تركتك لوحدك تواجهين الموت».

-«ولاتعلم حقيقة شعوري عندما شاهدتك تبتعد عني» قالت جيسيكا:

-«فقد أحتجت اليك ومع ذلك فقد كنت بارداً حين القيت بي على ذلك السرير وكل ما تمنيته حينها هو دفء ذراعيك و...».

-«وماذا؟» قال سباستيان بشوق. «هيا إكملي عبارتك ياعزيزتي..».

-«وصدرك». واحمرت خجلاً وقالت: «كفى ياسباستيان.. لقد أحببتك من أول لقاء بيننا رغم كل الكلمات الجارحة التي رميتني بها.».

وقطبت حاجبيها.. وعندها قام سباستيان ونقل كومة الملابس من فوق السرير ووضعها على أحد المقاعد القريبة...

-«ماذا ستفعل ياسباستيان».

-«لقد قلت تواً انك تريدين ذراعي وصدري..» قال مبتسماً. «أليس كذلك ياعزيزتي؟». وأخذها بين ذراعيه وضمها الى صدره بكل حرارة، وشعر بقلبها ينبض بسرعة وتمازجت دقات قلبيهما وقالت له:

-«سباستيان أحبك.. وأريدك الآن.».

www.rewity.com